الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصص: نقد حديث ومعاصر

المنهج الاجتماعي عند صلاح فضل
دراسة لنماذج مختارة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- ياسمين عباس
- سارة قادي نارو

إشراف الأستاذة:
- صليحة لطرش

لجنة المناقشة:

1.	أ / لعريبي عواج	جامعة البويرة	رئيسا
2.	أ / صليحة لطرش	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3.	أ / نفيسة طيب	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023م

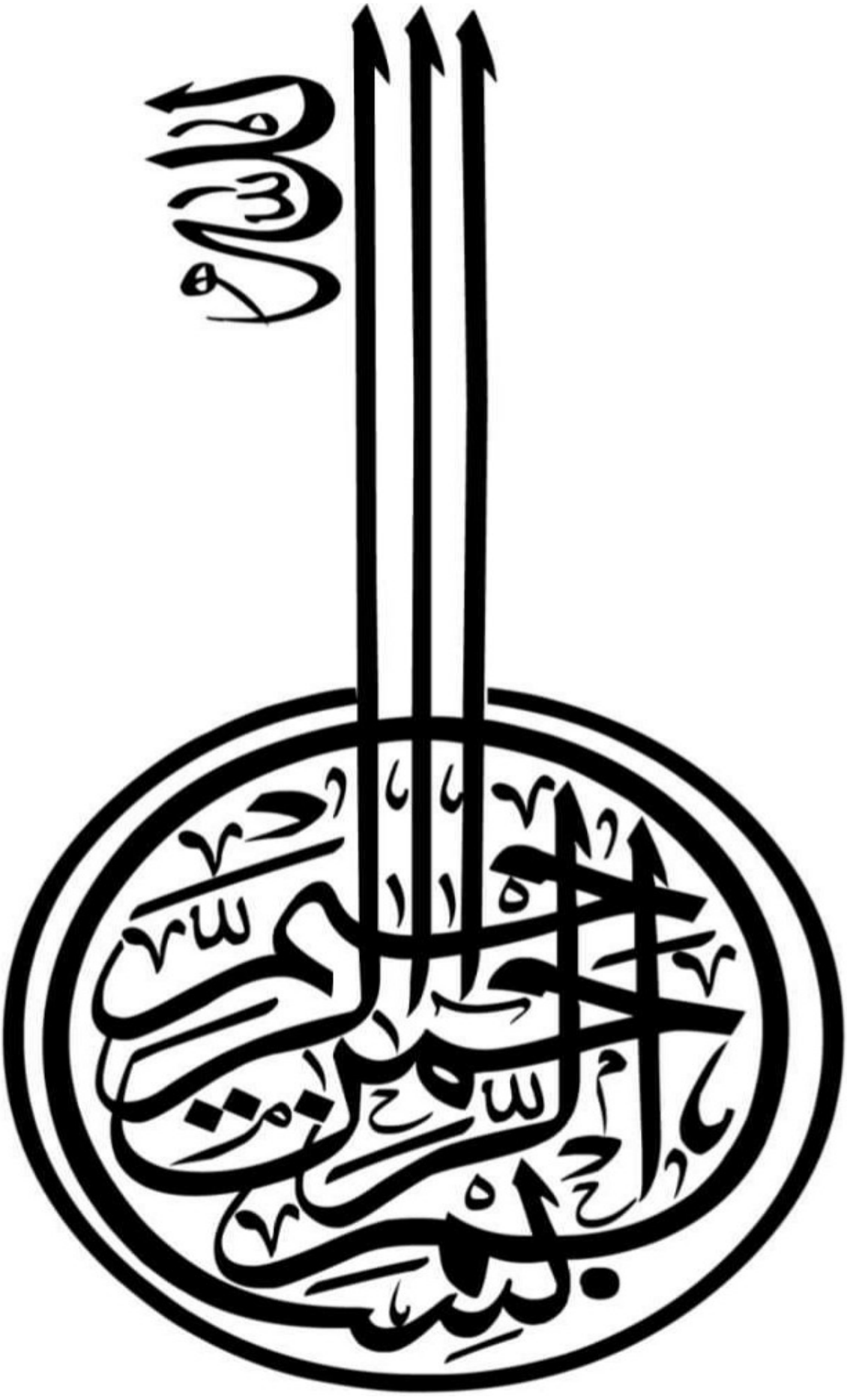

الشكـــــــر والتقديـــــــر

الشكر والحمد لله الذي وفقنا لهذا و لم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا

في البداية نتوجه بكثير الشكر و جزيل الإمتنان

إلى أستاذتنا المشرفة: " صليحة لطرش " على قبول الإشراف على هذا العمل أولا.

وعلى جميع النصائح و الإرشادات العلمية التي قدمتها لنا بصبر واسع.

نتمنى من الله أن يجازيها أحسن الجزاء وأن ينزلها خير المنازل آمين.

أتقدم أيضا بخالص الشكر و أسمى التقدير إلى كل أساتذتي طوال مشواري الدراسي.

وجميع أساتذة كلية الأدب، كما أشكر أعضاء اللجنة على قبولها لمناقشة هذه المذكرة.

كما أنني مدين بالشكر والثناء إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث

جزاء الله الجميع عني وعن العلم خير الجزاء.

الإهـــــــداء

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها أوراق الصبر وطرزتها

في ظلام الدهر على سراج الأمل أمي الحبيبة التي علمتني الإرادة

والصبر فعلمتني معنى التحدي والنجاح أطال الله عمرك.

إلي الذي علمني أن الحياة كفاح وأن الأمل أساس النجاح و علمني

الصمود حامي البيت وراعي شؤونه، إلي من بوجوده أضاء الطريق

الذي تشرفت بحمل اسمه أبي قرة عيني حفظه الله ورعاه .

إلي من تقاسمت معهم كل أفراحي وأحزاني إخوتي الأعزاء.

إلى كل من ساندني من قريب أو من بعيد في مسيرتي.

حفظكم الله جميعا والله ولي التوفيق

ياسميـــن وســـارة

مقدمة

مقدمة:

فهو تلك الموجة العالية من الدقة التي تساهم في سير الأعمال الأدبية وتطورها، فيشكل حركة واسعة في ظهور عدة مناهج مختلفة، وتعد المناهج السياقية (المنهج التاريخي، المنهج الاجتماعي، المنهج النفسي) وبصفة خاصة المنهج الاجتماعي وهو الذي يشهد إقبالاً من مختلف الدارسين العرب والغرب منهم، باعتباره منهجًا يتناول الحياة الاجتماعية ويدرسها بصفة خاصة من جميع النواحي، فهو ينطلق من الواقع مباشرة لأنه المأخذ الرئيسي في الدراسة الأدبية حسب هذا المنهج، ولأن الدراسة الأدبية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالوسط الاجتماعي، والأديب من خلال أعماله فما هو إلا مصورًا لِتَجرُبته الاجتماعية انطلاقًا من البيئة التي يعيش فيها وما تشمله من ظروف، لأنها فعليا مرجعه وأصله الوحيد، فالأديب اِبن بيئته.

ولقد قمنا باختيار هذا الموضوع « **المنهج الاجتماعي** » عند صلاح فضل دراسة لنماذج مختارة بالتحديد، ذلك أنّ للمنهج الاجتماعي فضل كبير و إضافة عظيمة في المجال الأدبي على العموم، والنقدي على الخصوص، لذلك ارتأينا أنّ نخصه بالدراسة بغية التعمق فيه أكثر ومعرفته معرفة دقيقة.

وعلى هذا الأساس جاءت إشكالية البحث كالآتي:

_ ما هي نظرة صلاح فضل للمنهج الاجتماعي؟

وللإجابة على الأسئلة الواردة في الإشكالية قمنا باعتماد المنهج الوصفي التحليلي، الذي رأيناه مناسبا لدراسة هذا الموضوع.

ولقد انقسم بحثنا هذا كالآتي: مقدمة.

مدخل.

الفصل الأول.

الفصل الثاني.

الخاتمة.

تتضمن المقدمة كلاً من النقد بصفة عامة والمناهج النقدية السياقية خاصة المنهج الاجتماعي ومبادئه، وأسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في البحث وذكر أهم المصادر المعتمدة في البحث وخطته.

أما المدخل فلقد تحدثنا فيه عن مفهوم المنهج (لغة واصطلاحًا)، ومفهوم المنهج الاجتماعي، والخلفيات والأصول المعرفية له، منطلقاته، خصائصه.

يليه الفصل الأول الذي عَنْوَنَاه بـ « **المنهج الاجتماعي ضبط المفاهيم** »، وتحدثنا فيه عن مفهوم المنهج الاجتماعي عند الغرب، ومفهومه عند العرب.

في حين جاء الفصل الثاني: « **ملامح المنهج الاجتماعي عند صلاح فضل من خلال النماذج المختارة** » متضمنًا نموذجين لصلاح فضل، أولهما: « **كتاب مناهج النقد المعاصر** »، وثانيهما: « **منهج الواقعية في الإبداع الأدبي** »، والذي قمنا بتحليلهما من أجل معرفة ما جاء به صلاح فضل للأدب من خلال هذين الكتابين بصفة خاصة المنهج الاجتماعي.

وختمنا بحثنا بخلاصة النتائج التي قمنا بالتوصل إليها من خلال تحليل الجزء الخاص بالمنهج الاجتماعي في النموذجين اللذان اعتمدنا عليهما.

واستعنا في انجاز هذا الموضوع على مجموعة من المراجع نذكر منها الأهم، وهي كالتالي: مناهج النقد المعاصر لصلاح فضل، فصول في النقد والأدب لعبد الرحمان أبو عوف، مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية لعثمان موافي، مناهج النقد الأدبي الحديث لوليد قصاب، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي لصلاح فضل، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر لسمير سعيد حجازي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه لصالح هويدي، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي لرضوان ظاظا.

مقدمة:

ولقد واجهتنا في بحثنا هذا مجموعة من الصعوبات أهمها قلة خبرتنا في المجال النقدي، واختلاف ترجمات المصطلحات الخاصة بالمنهج الاجتماعي وصعوبة فهمها، وأيضا صعوبة تحميل المصادر، وضيق الوقت.

وفي الأخير لا ننسى أنّ نتقدم بالشكر والعرفان لكل من أستاذتنا الفاضلة: " **صليحة لطرش**"، وجميع أعضاء اللجنة المناقشة وكل من كان له الفضل علينا في انجاز هذا البحث.

المدخل:

منطلقات وخصائص المنهج الاجتماعي

المدخل: منطلقات وخصائص المنهج الاجتماعي

1_ مفهوم المنهج (لغة، اصطلاحا).

2_ مفهوم المنهج الاجتماعي.

3_ الخلفيات والأصول المعرفية للمنهج الاجتماعي:

أ_ منطلقاته.

ب_ خصائصه.

المنهج الاجتماعي هو منهج ينطلق في مجمل دراساته من منظور يندرج تحت العلاقة التي تربط الأدب والمجتمع فالأدب ما هو إلا تعبير عن المجتمع (المحيط الاجتماعي) فوجود الأدب يرتبط تمامًا بوجود محيط منبثق منه، فالأديب يعبر عن كل ما يجول في مجتمعه من آمال وطموحات وعادات وتقاليد راسخة فحتى تجربته وأحاسيسه مستمدة من بيئته (فالأديب ابن بيئته) والمجتمع ما هو إلا بناء يحتاج إلى ركائز أساسية لذلك يحتاج للأديب وكذلك يحتاج هو الأخر لوجود المجتمع فالعلاقة الحاصلة بينهما علاقة تكاملية فكل منهما يكمل الآخر بطبيعته وتَأْثِيرِيتِهِ حتى هي نظرًا للتأثير والتأثر بينهما وكذلك تأثره (الأديب) بالعوامل السائدة في عصره فهو منهج يندرج ضمن المناهج المرتبطة بالسياق (المناهج السياقية) أي المناهج النقدية الخارجية التي تهتم بدراسة الظواهر الخارجية (كالبيئة، الوسط)، فهو كالمنهج التاريخي الذي يتعامل مع المحيط والتاريخ في دراسته.

فثنائية الأدب والمجتمع تشكل مجال اهتمام الدراسات وموضوعًا مهمًا جدًا لفهم وتفسير وكذلك دراسة الأعمال الأدبية دراسة صحيحة وشاملة.

لهذا شهد كمًا كبيرًا من الدراسات التحليلية والمنهجية نظرًا لما يحمله من مميزات وخصائص تميزه بأنّه المنهج الذي له علاقة وطيدة بالحياة الاجتماعية.

«ليس من السهل الفصل بين المنهج الاجتماعي والمنهج التاريخي في دراسة الأدب، بل إنّ كثيرًا من الباحثين لا يميز بينهما أصلاً، إذ هما معا يعنيان ارتباط الأدب والأديب بالحياة في وجوهها كافة، وبظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخصائص البيئة الجغرافية والمعيشية وسيرة الأديب وحياته العامة والخاصة، وما تقلب فيه من أحداث وظروف وملابسات». [1]

[1] وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص 36.

المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي يشكلان منهجًا متكاملاً في دراسة الأدب فكل منهما يشكل منهجًا مُلِمًا بكل جوانب الحياة (الظروف، الخصائص) وبوجه خاص الحياة العامة والخاصة للأديب.

وقد ولد المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب في أحضان المنهج التاريخي عند أولئك الذين استو عبوا فكرة تاريخية الأدب، و لذلك قال بعضهم: إنّ هذا المنهج هو جزء من المنهج التاريخي.

انبثق المنهج الاجتماعي بصورة فعلية من المنهج التاريخي الذي يمثل المنطلق الرئيسي للمنهج الاجتماعي فهذا الأخير يركز في دراسته للأدب على المنطلق الزماني والمكاني.

ومنذ عام 1800 أدى كتاب « عبقرية المسيحية » " لشاتو بريان" وكتاب « حول الأدب » " مدام دوستال" إلى ثورة حقيقية كما ألقى " بونالد" في عهد إمبراطورية نابليون، وفي مقال له بجريدة: "عطارد فرنسا" عام 1806 عبارته الشهيرة: « الأدب تعبير عن المجتمع».[1]

أي أنه أحدث كتاب كل من " شاتو بريان" و " مدام دوستال" نشاطًا أي نوعًا من الحركة والتغيير في دراسة الأدب من أجل التركيز على المحيط الخارجي أكثر أي بمعنى الإلمام بجوانب دراسة الأدب ليأتي " بونالد" لكي يوضح هذا بمفهوم أوضح تحت عبارة الأدب تعبير عن المجتمع بمعنى أنّ الأدب هو صورة واضحة يعكسها المجتمع.

ومدام دوستال ناقدة فرنسية مهدت لظهور المنهج الاجتماعي والتي ترى هي الأخرى أن العلاقة بين الأدب والمجتمع تمر بثلاث مراحل:

[1] رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مراجعة: المنصف الشنوفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 1997، ص139.

« _ القراءة التعاقبية: ترى فيها أنّ الأدب يتغير بتغير المجتمعات وحسب تطور الحرية، وأنّ الحرية تتطور مع تطور العلم والفكر والقرى الاجتماعية وأنّ الأدب نقد ودعوة لشيء ما في آن واحد، ثم تبين مراحل تغير الأدب الفرنسي حسب تغير النظام السياسي وتطور الحرية.

_ القراءة المكانية: ترى بأنّ التغيير والتقدم يندرجان في المكان.

_ التضاد بين الأدب الضروري وأدب أمر الواقع: وكما تندرج السياسة العقلانية كنتيجة منطقية لكتاب روح القوانين فإن ولادة علم يدرس أسباب الظاهرة الأدبية وتأثيرها ونتيجة منطقية لهذا التنظير التاريخي الاجتماعي».[1]

" مدام دوستال" تركز على فكرة أنّ الترابط الحاصل لابد أنّ تمر بـ:

_ القراءة التعاقبية في نظر "مدام دوستال" عبارة على أنّ الأدب هو محصلة لعوامل وظروف اجتماعية على هذا الأمر يتغير الأدب بتغير المجتمع وكذلك ربطته بالحرية والتي هي الأخرى تتغير بتغير حركة المجتمع فالأدب هو عبارة عن بحث وتفسير شامل وكذلك هو نقد هذا من خلال الأدب الفرنسي الذي تغير عندما تغير النظام السياسي في فرنسا.

_ أما القراءة المكانية تبينت من خلالها فكرة مهمة ألا وهي أنّ التقدم والتغير الحاصلان للأدب والمجتمع يعودان بشكل أساسي للوسط.

_ والتضاد بين الأدب الضروري وأدب أمر الواقع: وضحت فيه ظهور علم يهتم بدراسة الظاهرة الأدبية وأهم أسبابها هذا كاف لأنّ تكون هاته الدراسة دراسة شاملة.

---

[1] رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مراجعة، المنصف الشنوفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 142 و ص143.

« إنّ هناك عوامل تؤثر تأثيرًا واضحًا في إنتاج الأديب، مرجعها إلى المجتمع ولكن فعل هذه العوامل لا يكون قويا ذا أثر بعيد في العمل الأدبي الأصيل، من ذلك أن الأديب يكتب لجماعة دائمًا».[1]

فالأدب هو نتاج لظروف وعوامل اجتماعية دائمًا، والأديب يأخذ تجربته من محيطه المعيشي بمعنى أنّ الأديب هو ابن بيئته.

«إذ سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع، وبفكرة الطبقات، وكذلك يرتبط بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى الجماعي، وليس على المستوى الفردي».[2]

ارتباط الوعي الاجتماعي بالجوانب المختلفة للحياة يركز على طبيعة المستويات وكذلك فكرة الطبقات في حين ركز على فكرة الحياة على المستوى الجماعي التي تشكل أهمية كبيرة بالنسبة له أكثر من الحياة على المستوى الفردي لفهم العلاقات التي تجمع الأدب بالحياة الاجتماعية.

1_ مفهوم المنهج:

أ_ لغة:

جاء في لسان العرب: « نهج: طريق نهج بين واضح وهو المنهج وجمع نهجات ونهج ونهوج وسبيل منهج: كنهج ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج كالمنهج ».[3] وفي التنزيل قال تعالى: « لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا» سورة المائدة الآية 48.

---

[1] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد (الأدب _ النقد _ الشعر _ القصة _ المسرحية _ المقال _ ترجمة الحياة، الخاطرة)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط9، 2013، ص 26.

[2] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 46.

[3] إبن منظور: لسان العرب، دار إحصاء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، ج 14 (مادة نهج)، 1999، ص 300.

« وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجًا واضحًا بينًا، والمنهاج الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجًا، والنهج: الطريق المستقيم»[1]، فالمنهج هو تلك الطريقة التي نعتمدها لإبلاغ رسالة ما مثلا أو تلقين الدروس.

وجاء في العين: « نهج الطريق نهج: واسع واضح، وطرق نهجه ونهج الأمر وأنهج لغتان: أي واضح، ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج: الطريق الواضح، ومنهج الطريق: وضحه والمنهاج: الطريق الواضح، والنهجة الربو يعلو الإنسان والدابة«». [2] إذن فالمنهج أو النهج كما يقال هو ذلك الأسلوب الذي نسير وفقه بغية الوصول إلى نتائج مرجوة.

كما جاء في المعجم الوسيط: « نهج الطريق نهجًا، ونهوجًا وضح واستبان، يقال: نهج أمره والدابة أو الإنسان نهجًا، ونهيجًا، تتابع نفسه من الإعياء، والثوب نهجًا: بلى واخلق ويقال نهج الطريق بينه وسلكه، المنهاج: هو الطريق الواضح ومنه منهاج الدراسة منهاج التعليم ونحوهما، والجمع مناهج». [3]

فالمنهج هو الطريقة المتبعة فمثلا نقول: نهج أمره بمعنى سلك واعتمد طريقة وأسلوب معين، مثلما هو الحال عند تبليغ معلومة ما في مجال التعليم، فالمعلم يستند إلى أسلوب وطريقة معينة من أجل توصيل المعلومة أو المادة.

---

[1] ينظر: إبن منظور: لسان العرب، دار إحصاء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، ج 14 (مادة نهج)، ص 300.

[2] الخليل إبن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال، الجزء 3، (مادة نهج)، ص 392 و ص393.

[3] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، (مادة نهج)، ص 957.

ب_ أما المنهج في المفهوم الاصطلاحي:

يعرف عبد الرحمان بدوي المنهج بقوله: « الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[1]، فالمنهج هو تلك الطريقة المتبعة وتتضمن قوانين خاصة بكل منهج وجب السير عليها وعدم الإغفال عنها من أجل الوصول إلى الهدف المعين في أي دراسة مهما كانت، وتختلف المناهج باختلاف المادة واختلاف المجالات، أو هو: « طريقة يصل بها الإنسان إلى الحقيقة، لقد وجد الإنسان في المنهج أنّه ييسر له طريقة المعرفة، ويوفر له الجهد والعناء، وكلما تقدمت الحضارة وازدهرت، كلما كان العلم، كانت الحاجة إلى المنهج أشد». [2]

وقد عرف سعيد علوش المنهج في قاموسه المصطلحات الأدبية المعاصرة: « بسلسلة من العمليات المبرمجة، والتي تهدف إلى الحصول على نتيجة» [3]، وبمعنى قوله هو أنّ المنهج عبارة عن قوانين مضبوطة تهدف أو تسعى إلى تحقيق نتائج.

ولقد تطرق الدكتور نور الدين السد إلى تعريف المنهج على أنه: « رابط كلي يحكم دراسة الظاهرة من بدايتها إلى نهايتها» [4]، أي أنّ المنهج حسب " السد " يتمثل في تلك القوانين بشكلها

---

[1] عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 05.

[2] شاكر عبد القادر: مناهج البحث اللغوي الحديث والمعاصر، مجلة الخلدونية في العلوم الإنسانية، 2005، ص 105.

[3] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 223.

[4] نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 55.

الكلي التي يجب العودة إليها وتتبعها من أجل دراسة أي ظاهرة، إضافة إلى توخي تجنب أي مرحلة من مراحل هذا المنهج المتبع من أول العرض إلى أخره.

2_ مفهوم المنهج الاجتماعي:

« المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد تولد هذا المنهج من المنهج التاريخي، بمعنى أن المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوري الزمان والمكان»[1]، ويعتبر المنهج الاجتماعي من بين المناهج النقدية الأساسية والمهمة لدراسة الظواهر الإبداعية الأدبية، ولقد قام هذا المنهج على أنقاض المنهج التاريخي الذي له الفضل في ظهور المنهج الاجتماعي، ذلك أنّه استمد منه الكثير.

« ينطلق المنهج الاجتماعي من النظرية التي ترى أنّ الأدب ظاهرة اجتماعية وأنّ الأديب لا ينتج أدبًا لنفسه وإنّما ينتجه لمجتمعه منذ تفكيره في الكتابة، وفي أثناء ممارسته لها وعقب انتهائه منها فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد »[2]. فالمنهج الاجتماعي هو ذلك الأدب الذي يعتمد فيه الأدب على المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يكتب من عدم أو خيال وإنّما من واقع حقيقي واضعًا في الحسبان المتلقي الذي في الأصل هذا الإنتاج الأدبي سيكون موجهًا إليه.

« يرى بعض النقاد المعاصرين أنّ نشأة المنهج الاجتماعي ارتبطت بظهور الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة، ودعوتها إلى اتجاه الفن نحو الواقع الاجتماعي بنوع خاص» [3]. وتعود

---

[1] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر: ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 45.

[2] صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 2005، ص 95.

[3] عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008، ص 75.

أصول المنهج الاجتماعي في العصر الحديث إلى الواقعية التي كان لها الفضل في منح الكثير لهذا المنهج وتوجه هذا الأخير إلى الفن المعبر عن الواقع الاجتماعي بصفة خاصة.

من رواد المنهج الاجتماعي: « ومن أشهر أعلام هذا المنهج ومنظريه، ماركس، وانجلز، إضافة إلى المجري: جورج لوكاتش الذي يرى أنّ الأدب يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي».[1]

« مدام دوستال ترى بأنّ الأدب يتغير بتغير المجتمعات وحسب تطور الحرية فهي تتماشى _حَسْبَهَا _ وتطور العلم والفكر والقوى الاجتماعية » [2]، تنظر دوستال إلى الأدب على أنه في تغير مستمر، واختلاف من مجتمع إلى آخر، وهذا الاختلاف والتغير يحدث جراء تطور في المستوى الفكري، العلمي، وحتى الاجتماعي.

أ_ منطلقاته:

يقوم المنهج الاجتماعي على مجموعة من المنطلقات والمبادئ وهي كالتالي:

« ربط الأدب بالمجتمع، والنظر إليه على أنّه لسان المجتمع والمعبر عن الحياة، فالحياة هي مادة الأدب، منها يستقي موضوعاته، ويعترف أفكاره وتصوراته وهو كذلك يتجه بخطابه إليها، ولم تخلد الأعمال الأدبية وتتسم بالعظمة والديمومة إلا أنّها خدمت الحياة، وعبرت عنها وصورت هموم الإنسان ومشكلاته فيها.

_ العلاقة بين الأديب ومجتمعه علاقة جدلية، فالأديب يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه، تصنعه ظروفه وأحواله الاقتصادية والفكرية والسياسية، وإنّ رؤية الأديب الفكرية وفلسفته عن الحياة والكون إنّما تتبلوران بتأثير المجتمع و المحيط والتربية، _ الأدب جزء من النظام الاجتماعي، و هو كسائر الفنون_ ظاهرة اجتماعية ووظيفة اجتماعية.

---

[1] وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص 38.

[2] رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص 142.

_ وبناء على ما تقدم يبدو الأدب ضرورة لا غنى عنها، وهو نشاط اجتماعي متميز، فهو ليس ترفًا ولا زخرفة بل هو حاجة ماسة، والإنسان لا يستطيع أن يقييم حضارة من دونه.

_ وإذا كان الأدب يعكس المجتمع فإنّ ذلك لا يعني أنّه ينقله حرفيًا، أو يصوره فوتوغرافيا، بل ينقله من خلال فهم الأدب له أو موقفه منه.

_ ربط المنهج الاجتماعي النقدي الأدب بالجماهير، فجعلها هدف خطابه وبذلك أعلى من شأن الجماعة، وبحث عن تأثير الأدب فيها، حتى ذهب إلى أنّ قيمة الأدب الجمالية تنبع من قدرته على التعبير عن الجمهور».[1]

- اتصال الأدب بالمجتمع وجعل الحياة مادة الأدب فالبيئة بكل عواملها لها عامل التأثير فيه (الأدب) فهو عبارة عن تصوير لطبيعة الحياة أي البيئة والعصر.
- العلاقة التأثيرية بين الأديب والمجتمع فالأديب يتأثر بعوامل مجتمعه فهو ابنها وكذلك هو الآخر يؤثر فيها بأدبه.
- الأدب باعتباره عاملا تأثيريًا في المجتمع يشكل نقطة مهمة وأساسية في حياة الإنسان فهو لم يأتي عبثًا بل جاء ليغير الحياة الاجتماعية.
- الأدب هو بناء المجتمع وهذا الأخير يعد محركًا له فنقطة التأثير والتأثر تعطي طابعًا مميزًا لكل منهما.

« والمنهج الاجتماعي، يمكن عن طريق تطبيقه تطبيقًا واعيًا فهم نشأة الظواهر الأدبية المختلفة وتطورها وزوالها، فالأجناس الأدبية مثلا والتطورات التي تلحق بها سواء كانت تطورات جزئية أو شاملة، لا يمكن فهمها على أساس أنه يحكمها منطق التطور الداخلي لها فقط، بل لا بد

---

[1] وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص 36، ص 37، ص 38.

من رد هذه التطورات إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية التي لحقت بالمجتمع في فترة تاريخية محددة». [1]

ففكرة فهم الظواهر الأدبية ومختلف التغيرات التي يمكن أنّ تحدث معها مرتبط بالتطبيق الواعي للمنهج الاجتماعي، فالعوامل التي طرأت على المجتمع في فترة من الفترات هي من يستطيع التحكم في مختلف الظواهر.

« والدراسة السوسيولوجية للأدب في المرحلة الراهنة تنطلق من البحث في الدلالات الموضوعية للأثر التي يصل إليها الباحث عن طريق تحليل النص، تحليلاً جدليًا على ضوء مفهوم البنى ذات الدلالة الشائع في ميدان تلك الدراسات، ونحن نقصد هنا دراسات الناقد الفرنسي المعاصر " لوسيان جولدمان" التي ظهرت في بداية الستينات من هذا القرن». [2]

« الدراسة الاجتماعية تنطلق هذه الدراسة من ارتباط الأدب بالمجتمع ارتباطًا عضويًا وثيقًا، فهو ظاهرة اجتماعية تتداخل مع ظواهر أخرى، بحيث لا يمكن فهم الأدب في حقبة معينة، من دون فهم الإطار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لتلك الحقبة ولا تكتفي هذه الدراسة بربط الأثر الأدبي بحياة الأديب أو بالمناسبة، وإنّما تحاول إيجاد خيط متصل يبدأ من كل ما يصدر عن الأديب ». [3]

---

[1] فائق مصطفى وعبد الرضا علي: في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، شارع ابن الأثير، الجمهورية العراقية، ص 180.

[2] سمير سعيد حجازي: ندخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 98.

[3] أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي (... منهج، سوسيولوجي، في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية، ص 60.

فالدراسة الاجتماعية مبنية على العلاقة الأصلية بين الأدب والمجتمع فكلاهما ينطوي على الآخر وفهم الأدب مربوط بفهم التغيرات الطارئة.

ب_ خصائصه (ملامحه):

يتميز النقد الاجتماعي بمجموعة من الملامح التي تميزه وهي كالتالي:

« النقد الاجتماعي هو نقد مضموني إذ هو يعنى بمضمون العمل الأدبي ويتوقف عنده بالدراسة والتحليل، ويرى في الأدب رسالة اجتماعية هادفة، أو حدثًا ذا طبيعة اجتماعية.

_ الأدب في هذا النقد الاجتماعي (المضمون) ناقل للأفكار السياسية والفلسفية الجمالية وغيرها، لأفراد المجتمع أو لطبقة منه.

_ النقد الاجتماعي " نقد حكمي" تقويمي.

_ التزام: يشترك أصحاب المنهج الاجتماعي في النقد _ الذي يتمثل في عدة مذاهب كما سوف نرى في الدعوة إلى التزام الأديب بقضايا مجتمعه وتجنيد أدبه لتصويرها والتعبير عنها.

_ يهتم الاتجاه الاجتماعي في النقد الأدبي بشكل خاص بالأعمال الأدبية الواقعية، ويهمل _ في أغلب الأحيان _ تلك الأعمال التي تخرج إلى أدب الرمز، أو العبث، أو السريالية ولعله لا يجد فيها _ بشكلٍ واضح _ تلك المضامين الاجتماعية التي يبحث عنها ». [1]

_ النقد الاجتماعي يركز تمام التركيز على مضمون العمل الأدبي أي أهم ما يدرسه ويتناوله هذا العمل في حين يشكل الأدب بصورة خاصة دراسة اجتماعية تبحث في الوسط الاجتماعي ولهذا يكون ناقلاً لمجموعة الأفكار السياسية والفلسفية ومجمل التغيرات الطارئة في المجتمع.

---

[1] وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص 39، ص 40، ص 41.

_ ويشكل أيضا نقطة تفسيرية لأنّه يركز على المضمون ويركز الاتجاه الاجتماعي على دراسة العمل الأدبي الواقعي في النقد الأدبي لأنه يهتم أساسًا بالبحث وتحليل المضمون الاجتماعي للعمل الأدبي.

« دراسة الأساس الاقتصادي للأدب، والوضع الاجتماعي للكاتب لا تنفصل عن دراسة الجمهور الذي يخاطبه، والذي يعتمد عليه حاليًا». [1]

أي أنّ أي دراسة للأدب على أي مستوى من المستويات والحياة الاجتماعية للكاتب لها اتصال بالجمهور الذي يخاطبه فالجمهور يمثل جزءًا مهمًا في الدراسة الاجتماعية.

« المنهج الاجتماعي يرى الأدب في المجتمع، ويمكن أنّ يدرس المجتمع بعناية من خلال خطط ثلاث:

أولاً: المجتمع الواقعي، حيث ظهر الكاتب، وحيث أنتج عمله.

ثانيا: المجتمع الذي ينعكس مثاليًا في نطاق العمل نفسه.

وأخيرًا: قد يكون عبارة عن أدب العادات، سياسيًا أو هاجيًا أو أخلاقيًا، أو خطة إصلاح اجتماعي في العمل مثلاً: إذا أمعنا النظر في رواية " مرثين فيرو" لمؤلفها "خوسيه هرنانديث"، فإنّ الناقد الاجتماعي يستطيع: أنّ يرسم إجمالاً أصول هرنانديث الاجتماعية، فهو ولد في بيت نبيل، وتعاطف مع القضية الإتحادية، ونشأ في أعوام عاصفة سياسيًا». [2]

---

[1] رنيه ويليك وآوستن وآرن: نظرية الأدب، تعريب: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1992، ص 138.

[2] إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط2، 1992، ص 118، ص 119.

المنهج الاجتماعي يدرس المجتمع من خلال الإلمام بثلاث عناصر أساسية: تكون بدراسة الوسط الذي أنتج فيه الكاتب عمله لأنّه يتأثر بالواقع الذي تواجد فيه فيتخذ من بيئته محورًا لتجربته الأدبية.

وبما أنّ الأدب يؤثر في المجتمع والأديب هو الآخر يستطيع التأثير أيضا من خلال تجاربه المستقاة من محيطه الاجتماعي فهذا يشكل اتصال بين المحيط والعمل الأدبي.

وكذلك الناقد الاجتماعي له القدرة على تصوير الحالات الاجتماعية وهذا واضح من خلال رواية " مرتين فيرو".

« والتحليل السوسيولوجي يعطي للأثر أهمية خاصة، وهذه الأهمية تنبع أساسًا من خصوصية الفنية ومن دلالاته الموضوعية التي عن طريقها يتمكن الباحث من تحديد نقطة البدء في دراسته ». [1]

فهذا النوع من التحليل بالذات يبرز لدى الأثر الأدبي أهمية بالغة لما يحمله من إيحاءات ودلالات متعددة.

[1] سمير سعيد حجازي: ندخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 99.

الفصل الأول:

المنهج الاجتماعي

_ ضبط المفاهيم _

1_ مفهوم المنهج الاجتماعي عند الغرب

2_ مفهوم المنهج الاجتماعي عند العرب

يعد المنهج الاجتماعي من بين المناهج السياقية المهمة في دراسة الظواهر الأدبية الإبداعية، لما له من أهمية بالغة في الكشف عن كُنْهِ و فَحْوِ الأعمال الإبداعية الأدبية، ذلك أنّ الأدب يتغير بتغير المجتمعات ويختلف باختلافها، فالأدب الغربي يختلف عن الأدب العربي مثلا لأنّ المجتمعين مختلفين كل الاختلاف.

1_ مفهوم المنهج الاجتماعي عند الغرب

« مع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بدراسة العلاقة من الناحية الاجتماعية والأدب، فصدر آنذاك كتاب " مدام دوستال" تحت عنوان " الأدب في علاقاته بالمؤسسة الاجتماعية" متناولا هذا الكتاب تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب وتأثير الأدب فيها»[1]، ويقصد بذلك أنّ المنهج الاجتماعي كان محط اهتمام في أوائل القرن التاسع عشر لاسيما وأنّ " مدام دوستال" أصدرت كتابها الذي تحدثت فيه عن مدى العلاقة الانعكاسية الموجودة بين الأدب والمجتمع وتأثير كل منهما على الآخر.

« غير أنّ جذور المنهج الاجتماعي في روسيا ترجع إلى زمن أبعد من "بليخانوف" و "لينين" فقد ظهر منذ عام 1834 على يد "بيلينكس" ثم " تشير فيسكي و "دوبرو ليبوف" ما يسمى بالنقد الثوري الديموقراطي الذي يؤمن بالدور الاجتماعي للفن، كان هذا الاتجاه مختلف عن الاتجاه الواقعي الانتقادي، فكان مفيد بوجهة نظر مجتمع برجوازي إقطاعي » [2]، معنى ذلك أنّ أصول المنهج الاجتماعي في روسيا كانت عام 1834 مع " بيلينكس"، وكان يعرف آنذاك بالنقد الثوري الديموقراطي، الذي أعطى الثقة والأولوية إلى جعل الفن يعبر عن المجتمع.

---

[1] ميشيل زيرافا: الأسطورة والرواية، تر: صبحي الحديدي، الدار البيضاء، المقالات، ط1، 1986، ص25.

[2] روبير إسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب، تر: آمال أنطوان عرموني، بيروت، منشورات عويدات، ط3، 1999، 40.

المنهج الاجتماعي: « هو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة فيكون الأدب ممثلا للحياة على المستوى الجماعي الفردي باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد».[1] معنى ذلك أنّ الأعمال الإبداعية الأدبية هي نتيجة لذلك الواقع المعاش فهي تعبر عن روح الجماعة لاسيما أنّ الكاتب والأديب يضع في الحسبان بالدرجة الأولى القارئ المستهلك ومدى تمثيل هذا العمل له ولحياته.

المنهج الاجتماعي: « هو منهج نقدي يقوم بدراسة المجتمع، ويتتبع الأعمال الأدبية التي تصور المجتمع بخيره وشره، وتدعو إلى تقدمه، ويعد هذا المنهج الأب الشرعي للنظرية الواقعية، وقد بدأ تطبيقه بكتاب " مدام دوستال" عن الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية الذي صدر في الأعوام الأولى من القرن التاسع عشر»[2]، ومعنى ذلك أنّ المنهج الاجتماعي يهتم بدراسة وتحليل الأعمال الإبداعية المعبرة عن المجتمع، سواء من خير يتضمنه أو شر، ويعتبر هذا المنهج النقدي الوريث الشرعي للواقعية، ويظهر تطبيق هذا المنهج جليًا من خلال كتاب " مدام دوستال" عن الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية.

« ومنذ وضع تين أسس العلاقة الديناميكية بين المجتمع والأدب فإنّ من الصعب على أي ناقد أنّ ينكر هذه الصلة مهما حاول التقليل من شأنها، وممن أخذ " بلزاك" عام 1850م، إذ كتب قصصًا اجتماعية وصفًا فيها واقع المجتمع الفرنسي في عصره وبدع في تصوير الشر كما يراه

---

[1] صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث، قضايا ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426هـ/2006م، ص 44، ص 45.

[2] سامي يوسف بوزيد: تذوق النص الأدبين دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ/2012م، ص 47.

للثورة عليه، وما يترتب على ذلك من تغيير في نظام المجتمع من وراء هذا التصوير» [1]، ومعنى هذا أن العلاقة هي علاقة إلزامية وضرورية بين كل من الأدب والمجتمع حسب ما وضحه " تين" من خلال الأسس الثلاث التي وضعها، ومن الأمثلة على ذلك ما أبدع به " بلزاك" من قصص تعبر وتصور ذلك الواقع المعاش والشر الذي كان موجود في المجتمع الفرنسي، مما أدى إلى تغيير بسبب تلك الأعمال الأدبية الإبداعية، فتغيرت الأوضاع في المجتمع الفرنسي.

❖ النقاد الغرب وأهم أعمالهم:

1_ جورج لوكانش:

من رواد هذا الاتجاه في القرن العشرين، تحدث عن العلاقة التكاملية بين المبدع والواقع المعاش هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية اهتم بالوعي التاريخي المنبعث من قبل المؤلف وكيف استطاع أنّ يوضحه من خلال أعماله، تناول لوكاتش: « طبيعة ونشأة الرواية المقترنة بنشأة حركة الرأسمالية العالمية وصعود البرجوازية الغربية» [2]، أي أنّ لوكاتش يرى بأنّ ظهور الرواية ونشأتها مرتبط ارتباط وثيقًا بالرأسمالية العالمية وما وصلت إليه من قوة.

2_ لوسيان غولدمان:

« اعتمد غولدمان على بعض مقالات أستاذه " جورج لوكاتش" مما جعله يصل إلى مكانةٍ جعلته مؤسس المنهج البنيوي التكويني، إذ نجح من خلال دراسته " الإله الخفي" ومدح " راسين" في تناوله الرؤية المأساوية في خواطر باسكال وراسين، ويسعى إلى الإحاطة بالبنيات التصويرية للنصوص المدروسة واستخلاص الكليات العقلية والاجتماعية، وتوصل على أنّ خواطر باسكال

---

[1] سامي يوسف بوزيد: تذوق النص الأدبين دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ/2012م، ص 47.

[2] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 67.

وراسين، ليست سوى تعبير عن الوضعية المأساوية التي عاشتها نباله مثقفة موزعة بين أصولها وارتباطاتها بالبرجوزية ».[1]

يعد " غولدمان" الزعيم والرائد الرئيسي للمنهج البنيوي التكويني، وذلك بعد استفاده من العديد من المقالات التي طرحها أستاذه " لوكاتش"، وتعتبر أبحاثه التي قام بها على " الإله الخفي"، و " خواطر باسكال وراسين" من الأبحاث والدراسات الناجحة وذات فائدة كبيرة حيث حاول من خلالها استخراج واستنباط الكليات العقلية والاجتماعية التي دفعت بكتاب هؤلاء الأعمال الإبداعية الأدبية إلى إنتاج هذه السلع الأدبية.

« ركز غولدمان عند تطبيقه للمنهج السوسيولوجي على الإبداع الفردي للمؤلف هذا الأخير الذي يعد جزءا من الإبداع الجماعي».

« اعتمد غولدمان على مجموعة من المبادئ العميقة والتي يمكن أنّ نلخصها فيما يلي:

1_ يرى غولدمان أنّ الأدب ليس إنتاجًا فرديًا و لا يعامل باعتباره تعبيرًا عن وجهة نظر شخصية بل هو تعبير عن الوعي الطبيعي للفئات في مجتمعات مختلفة بمعنى أنّ الأدب عندما يكتب فإنّه يعبر عن وجهة نظر تتجسد فيها عمليات الوعي والضمير الجماعي، فجوة الأديب وإقبال القراء على أدبه بسبب قوته في تجسيد المنظور الجماعي، ووعيه الحقيقي بحاجات المجتمع، فيجد القارئ ذاته وأحلامه ووعيه بالأشياء والعكس صحيح لمن يملكون وعيًا مزيفًا» [2]، معنى ذلك أنّ الأدب حسب غولدمان هو تلك الرؤية للضمير الجمعي، وليست تلك الرؤية الفردية، فالأديب في أعماله يقوم بتجسيد الواقع الجمعي وتصويره، كما أنّ نجاح هذه الأعمال الإبداعية الأدبية مرهون بمدى

---

[1] لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، تر: بدر الدين عرووكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993، ص 38.

[2] لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ص 40.

تجسيدها للواقع وتعبيرها عن الفرد وحالاته في المجتمع، هذا الأخير (المتلقي) هو الذي يحدد نجاحها من عدم عن طريق تلقيها واستهلاكها بكمية كبيرة.

2_ « أنّ الأعمال الأدبية تتميز بأبنية دلالية كلية وهي ما يفهم من العمل الأدبي في إجماله، وهي تختلف من عمل لآخر، فعندما نقرأ عملاً ما فإنّنا بحاجة إلى إقامة بنية دلالية كلية تتعدل باستمرار كلما عبرنا من جزء إلى آخر في العمل الأدبي، فإذا انتهينا من القراءة نكون قد كوّنا بنية دلالية كلية تتكون من المقابل المفهومي والمقابل الفكري للوعي والضمير الاجتماعيين المتبلورين لدى الأديب»[1]. معنى هذا أنّ لكل عمل أدبي بنية دلالية كلية خاصة به تميزه عن عمل أدبي آخر، فالبنى الدلالية تختلف من إنتاج لآخر، لكن لا يمكن بلوغ هذه البنية الدلالية الكلية إلا إذا قرأنا العمل الأدبي كله، ذلك أنّها تختلف هذه البنية وتتغير بتدرج القراءة من عنصر لآخر، ولا تكتمل هذه البنية الدلالية الكلية إلا باكتمال قراءة العمل الأدبي ككل.

جاء جورج لوكاتش وغولدمان، فأبانا عن العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع باعتبار أنّ الإبداع الأدبي ما هو إلا انعكاس تخيلي لهذه الحياة الاجتماعية. [2]

للوكاتش وغولدمان في الكشف عن تلك العلاقة الإلزامية الجامعة بين الحياة الواقعية والإنتاج الإبداعي، فهذا الأخير ما هو إلا تعبير ووصف للضمير الجمعي الواقعي.

3_ بيرزيما:

« استطاع زيما أنّ يتخطى مرحلة التأثر " بباختين " إلى مرحلة الإضافة والابتكار والتفسير، فلم يعد همه من دراسة النص دراسة المجتمع فقط، بل نجده يهتم بمسألة معرفة كيف تتجسد

---

[1] لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، تر: بدر الدين عرووكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993، ص 40.

[2] ينظر: لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ص 40.

القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص».[1] ومعناه أنّ " زيما" تجاوز بدراسته للأعمال الأدبية ما يتعلق بالجانب الاجتماعي أو المجتمع، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فأصبح يهتم بكيفية تكوين تلك الآراء والمسائل الاجتماعية داخل النصوص الإبداعية.

« قام زيما بتقديم منهج نقدي تحليلي سوسيولوجي قوامهُ ليس فقط الانغلاق على النص، بل الخروج عن النص إلى دائرة المجتمع والجمهور المستقبل لهذا النص».[2] ، هذا يعني أنّ بيرزيما" قد جاء بمنهج يجمع ويهتم بدراسة النص في حد ذاته، وأيضا لا يغفل عن الجانب الاجتماعي ودوره في تبلور ذلك العمل الإبداعي الأدبي ويسمى هذا المنهج النقدي بالمنهج التحليلي السوسيولوجي.

« إنّ زيما لم ينسى أنّ النص الأدبي ليس كالوثيقة التاريخية التي يعتمد فيها المؤرخ على التأكيد على صحة الأمر من عدمه، بل يظل الأدب قادرًا على تجاوز هذه المرحلة».[3]

هناك اختلاف بين وواضح بين الأديب والمؤرخ، وبين النص الأدبي والوثيقة التاريخية ذلك أنّه في هذه الأخيرة وجب علينا النظر في صحة الشيء والتدقيق فيه على أنّه حقيقة صادقة، أما في العمل الإبداعي الأدبي نستطيع أنّ نستغني عن هذه الخطوة في التحليل والتفسير للنصوص الأدبية.

---

[1] صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 2006، ص 68.

[2] داوود غطاشة: قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، عمان، الأردن الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 35.

[3] وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007، ص 40.

4_ ميخائيل باختين:

« يعد باختين المؤسس الأول لعلم اجتماع النص الأدبي، أو حتى علم اجتماع الشكل الأدبي وقد تعرض في دراسات لنظرية الانعكاس المباشر التي كانت شائعة في الاتحاد السوفياتي في مرحلة الثلاثينات، وأكد أنّ الأدب ليس انعكاسًا آليًا للمجتمع بقدر ما يكون للفن يعتبر اجتماعيًا مرتبطًا بما هو خارج الوعي الفردي، وأنّ الوعي الذاتي لا يمكن أنّ يتحقق إلا من خلال الوعي الجماعي ». [1]

إنّ رائد علم الاجتماع للنص الأدبي والمؤسس الفعلي له هو " باختين" الذي يرى بأنّ الأدب هو ليس نقل وتصوير حرفي للمجتمع، بل هو يخدم بالدرجة الأولى الفن، ذلك أنّ الأديب لا يستطيع أنّ يكون ناجحًا إذا لم يتمكن من تصوير وتحقيق ذلك الوعي الجماعي لأفراد وطبقات المجتمع المختلفة، فهذا الوعي الفردي لا يستطيع الظهور والكشف عنه إلا من خلال الوعي الجماعي.

« حرص باختين على ضرورة تجسيد و تحديد جوانب الصراعات الطبقية في المجتمع الواحد» [2]، ذلك أنّه يجب على الأديب أنّ يقوم بنقل وتصوير لكل الفئات في المجتمع باختلاف طبقاتها وخاصة الطبقة العاملة التي غالبًا ما تكون مضطهدة.

« سعى نقاد الأدب الماركسيين وهم نقاد الاتجاه السوسيولوجي إلى ضرورة أنّ تعكس الأعمال الأدبية والمسرحية الواقع الاجتماعي للمبدع وأنّ يلتزم بقضايا الطبقات وخاصة الطبقة

---

[1] ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، القاهرة، مصر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987، ص 22.

[2] داوود غطاشة: قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، عمان، الأردن الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 35.

العاملة، وأنّ يكون قادرًا على أنّ يدرك صيرورة الصراع الاجتماعي ويعتبره في عمله بوسائله الفنية، ومن هنا جاءت أولوية المضمون الاجتماعي على الشكل بحيث يصبح الشكل وسيلة لتجسيد أو تحقيق المضمون في العمل الأدبي ويصبح مهمة الناقد أو الدارس أساسًا هي اكتشاف المضمون ومدى قدرة الكاتب على عكس قضايا الواقع الاجتماعي»[1]، يرى أصحاب الاتجاه السوسيولوجي أنّ الأدب من الإلزام فيه أنّ يكون مجسدًا لحياة المبدع الاجتماعية بمعنى أنّه لا بد على الأديب أنّ يحسن وصف جُلْ قضايا مجتمعه خاصة ما يتعلق بالطبقة المتوسطة أو الطبقة العاملة، فالماركسيون جعلوا من الشكل الأدبي بصفة عامة وسيلة لتبليغ قضايا المجتمع، إذن فدور الناقد هنا أنّ ينظر في الأعمال الأدبية الإبداعية إلى أي درجة تمكن الأديب من تصوير مسائل مجتمعه.

« إنّ الأديب حين يكتب عمله لا يكتبه لنفسه وإنّما يصيغه للجماعة التي يعايشها، فهو يسعى دائما إلى الجماعة وإلى كل ما تموج به من قيم مختلفة وبذلك كانوا حين يقرؤون أديبا لا يقرءونه وحده، وإنّما يقرؤون أنفسهم وأنفس من حولهم » [2]، يقال الأديب إبن بيئته لذلك فإنّه عندما يؤلف شيئًا ما، أو عملاً أدبيًا معينًا لا يكون من هباء بل يكون معبرًا عن وعيه لذلك المجتمع الذي يعيش فيه، وليس معبرًا عنه فحسب بل يعد الأديب بمثابة الناطق الرسمي باسم أفراد مجتمعه الذين لا يستطيعون التعبير، وبالتالي فعند قراءتهم لمختلف الأعمال الإبداعية الأدبية يرون أنفسهم فيها.

« يمكن اعتبار المنهج الاجتماعي منهج من مناهج التذوق الأدبي في النقد الاجتماعي، يشترك في تحقيق مبدأ التواصل مع المنظومة الحياتية التكاملية، ويسعى جاهدًا في إبراز مكامن

---

[1] ينظر: داوود غطاشة: قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، عمان، الأردن الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص 39.

[2] داوود غطاشة: قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، ص 99.

الخلل والأخطاء في حياة المجتمعات الإنسانية، بالإضافة إلى إبراز جوانب الإيجاب في حضور الفعل الإنساني وفي جنبات الحياة ».[1]

2_ مفهوم المنهج الاجتماعي عند العرب

_ محمود أمين العالم:

لقد تطور النقد الاجتماعي على أيدي محمود أمين العالم، ولويس عوض، ومحمد مندور.[2]

فنجد أنّ النقد الاجتماعي عرف إقبالاً واسعًا من طرف النقاد العرب أمثال: محمود أمين العالم وآخرون قد اهتموا وركزوا على الجانب الاجتماعي في الدراسة الأدبية.

« واهتم محمود أمين العالم بإجراء دراسات على عدد من الأباء في النصف الأول من هذا القرن، وكانت نقطة البدء عنده فكرة أساسية مؤداها: أنّ الأدب للمجتمع والتغير الاجتماعي، وأنّ مضمون الأثر هو الذي يستطيع وحده تحقيق هذه الغاية، ودفعته نزعته الماركسية إلى محاولة صياغة آراء ماركس في الفن والأدب صياغة دقيقة، فاستطاع في دراساته أنّ يصل بهذا المفهوم إلى درجة مرضية من الدقة، إذ رأى أنّ مضمون الأثر الأدبي يعكس الواقع، ويعكس مواقف اجتماعية معينة ».[3]

ففكرته كانت مبنية على أنّ الأدب ما هو إلا جزء لا يتجزأ من الواقع المعاش وهذا من خلال دراسته التي أجراها ولأنّ مضمون العمل الأدبي له اتصال تام بالظروف الاجتماعية فهو صورة للواقع.

---

[1] قصي الحسين: سوسيولوجية الأدب: دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1993، ص 117.

[2] يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من " اللانسونية" إلى " الألسنية" رابطة إبداع الثقافية، ص 41.

[3] سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 95.

« ثم واصل البحث في مسألة النقد الاجتماعي الأدبي، ونال تحليل مضمون الأثر معظم دراساته ».[1]

وأتم البحث في قضايا وجوانب النقد الاجتماعي لأنّه اهتم أساسًا بمضمون العمل الأدبي وعلاقته بالواقع.

_ محمد مندور:

« وهذا الأخير الذي استقر عليه بعد طول تقلب تحت اسم النقد الإيديولوجي ».[2]

النقد الإيديولوجي أو النقد الاجتماعي عند محمد مندور « لقد تجاوز مندور الرؤية الفردية والوسطية في الشعر المهموس وتوصل إلى ما أسماه (النقد الإيديولوجي وقد عرفه في عدة كتب أبرزها (المذاهب الأدبية والفنية) و(قضايا جديدة في الأدب الحديث) وقد خاض معارك حافلة ضد أنصار الفن للفن ودعا إلى أدب واقعي من أجل الحياة ».[3]

فقد أيد مندور فكرة الفن من أجل الحياة ومن أجل المجتمع فالفن يخدم المجتمع وهذا الأخير يتطور ويتغير بتطوره وتغيره وأنّه كان من النقاد الواعيين والمهتمين بالمنهج الإيديولوجي وفكرة الأدب الواقعي.

فيقول: « التجربة الاجتماعية وهي تلك التي يستقيها الأديب أو الشاعر من محيطه الاجتماعي ».[4]

---

[1] سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 95.

[2] يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من " اللانسونية" إلى " الألسنية" رابطة إبداع الثقافية، ص 41.

[3] عبد الرحمان أبو عوف: فصول في النقد والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1996، ص 39.

[4] محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 15.

فالمجتمع أو المحيط هو أساس التجربة الاجتماعية وهو المنتج الفعلي لمختلف التجارب الأدبية.

« وليس من شك في أنّ ثقافة الأديب أو الشاعر العامة ستسعفه أيما إسعاف في صياغة التجارب الاجتماعية التي تحيط به حتى ليقول روسو أنّنا في حاجة إلى كثير من الفلسفة لكي نستطيع أن نلاحظ ما نراه كل يوم ».[1]

فالتجارب الاجتماعية ناتجة عن فعل الثقافة الواسعة التي يجب أنّ ترافق الأديب في كل دراساته وتحليلاته الأدبية.

« وركب الدكتور محمد مندور الموجة الواقعية وترك النظرة الجمالية الفنية واعتمد النقد الأيديولوجي العقائدي ميزانًا جديدًا له، والعمل على إيجاد حل، أو علاج العيوب الاجتماعية علاجًا سليمًا».[2]

فقد كانت نقطة تركيزه مبنية على الاهتمام بجميع المشكلات والقضايا التي تواجه عصره ومجتمعه ومعالجتها ولأنّه في بداية دراسته للأثر الأدبي ركز على النقد الأيديولوجي وأدرك الموجة الواقعية.

_ لويس عوض:

« فقد أجرى بحوثا عديدة تهتم أساسًا بإبراز تأثير الوسط الاجتماعي على الأثر الأدبي، فهو يحاول الربط بين الأدب والسياق الاجتماعي والتاريخي عن طريق الاستعانة بمنهج التفسير، فهو يرى أنّ الأدب نشاط لا ينفصل عن المجتمع، وأنّه إحدى أدوات التعبير الاجتماعي ».[3]

---

[1] محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 16.

[2] عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1990، ص 233.

[3] سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 94.

أي أنّه يحاول الربط بين الأدب والسياق، وكيف يؤثر المجتمع على الأدب لأن الأدب والواقع الاجتماعي تجمعهما علاقة تلازم وترابط، فالأدب يتحقق ويتطور فعليًا بتطور وحركة المجتمع وهذا الأخير يتأثر منه.

وقد كان (عوض) متحمسًا للمنهج التاريخي والاجتماعي لتعليل الصلة بين الأثر الأدبي والمجتمع ليقضي على النزاعات المثالية والميتافيزيقية التي توجد في النقد الأدبي[1]

ولتفسير العلاقة الرابطة بين الأثر الأدبي والمجتمع وكيف أنّ الأثر الأدبي يمثل صورة عاكسة للمجتمع من خلال التأثير عليه وقد اعتمد في هذا على المنهجين التاريخي والاجتماعي اللذان يعطيان الظروف الخارجية أهمية كبيرة مما يساهم في القضاء على النزاعات المثالية والميتافيزيقية الموجودة في النقد الأدبي بصورة أساسية.

_ سلامة موسى:

« ولا جدال في أنّ التكوين العلمي في تاريخ سلامة موسى المبكر كان تكوينًا منهجيًا يبحث في العلاقة العامة بين الظواهر الاجتماعية المختلفة في الحياة ومن الطبيعي أنّ الفكرة الأدبية قد استولت على ذهنه كواحدة من هذه الظواهر العديدة التي يمكن للمعلم دراستها كتعبير اجتماعي».[2]

البحث في العلاقة التي تربط كل من الظواهر الاجتماعية المتغيرة بالفكرة الأدبية وهذه الأخيرة كيف وأنّها تمكن أنّ تكون حقلاً دراسيًا يمثل تعبيرًا اجتماعيًا والتعبير الاجتماعي هو الذي يؤدي إلى ظهور هاته الفكرة بشكل أدبي تأثيري.

---

[1] سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الادبية ، ص 94.

[2] عبد الرحمان أبو عوف: فصول النقد والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1996، ص 32.

وقد انعكست أفكار سلامة موسى الإصلاحية في هذه المخططات التي طرحها لعلاج المشكلات الاجتماعية على رؤيته الأدبية والفنية. [1]

وإنّما سبيلنا في الأدب أنّ ندرس الحياة من جميع وجوهها لأنّ الأدب وصف الحياة ونقدها، والتوسعة فيها، ولذلك فالقاعدة الوحيدة للأدب هي أنّ يطابق الحياة المثلى ويصورها. [2]

فالأدب يهتم بالواقع الاجتماعي والعلاقة القائمة بينهما قائمة أساسًا على ربط الأديب بالحياة الاجتماعية وتصويرها فهو عاكس (الأدب) لمظاهر حياة المجتمع وليس منعزل عنها.

« وكما يجب أنّ نجعل الموضوع وسيلة لدرس اللغة كذلك يجب أنّ نجعل الحياة وسيلة لدرس الأدب».[3]

وبما أنّ الموضوع شكل الطريقة المثلى لدرس اللغة، فالحياة هنا تشكل الأسلوب الصحيح والموجه لدراسة الأدب فالأديب يعيش ضمن تجربة محيطه الاجتماعي أو عصره.

«ويدعو سلامة موسى إلى أنّ الأدب للشعب».[4]

فهو هنا يوضح فكرة مهمة تنص على أنّ الأدب هو في حقيقة أمره جاء للشعب والشعب لا يمكنه من دون أدب يؤثر في أفكارهم ويصلحها.

---

[1] عبد الرحمان أبو عوف: فصول النقد والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1996، ص 34.

[2] سلامة موسى: في الحياة والأدب، مؤسسة الهنداوي، 1930، ص 112.

[3] سلامة موسى: في الحياة والأدب، ص 112.

[4] عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1990، ص 207.

الفصل الثاني:

ملامح المنهج الاجتماعي عند صلاح فضل من خلال النماذج المختارة

1_ النموذج الأول: كتاب مناهج النقد المعاصر

2_ النموذج الثاني: كتاب منهج الواقعية في الإبداع الأدبي

1_ النموذج الأول: كتاب مناهج النقد المعاصر

تحدث صلاح فضل في كتابه مناهج النقد المعاصر عن عدة مناهج، السياقية منها والنسقية، ومن بين هذه المناهج " المنهج الاجتماعي" الذي خص به الفصل الثاني من الكتاب ويعد المنهج الاجتماعي من المناهج الأدبية والنقدية المهمة، فهو يستمد أصوله المعرفية من المنهج التاريخي، هذا الأخير الذي يهتم بتطور المجتمعات وآدابها عبر التاريخ وبصفة خاصة من خلال الزمان والمكان.

كما أوضح ذلك صلاح فضل بقوله: « يعتبر المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد انبثق هذا المنهج _ تقريبا_ في حضن المنهج التاريخي وتولد عنه واستقى منطلقاته الأولى منه، خاصة عند هؤلاء المفكرين والنقاد الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة، وتحولاتها طبقا لاختلاف البيئات والظروف والعصور، بمعنى أنّ المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنهج الاجتماعي عبر محور الزمان والمكان».[1]

يعتبر المنهج الاجتماعي بأنّه المنهج المتبقي من المنهج التاريخي، والذي اهتم بربط الأدب بالمجتمع وبفكرة الطبقات وكذلك اهتمامه بفكرة تمثيل الأدب للمجتمعات، وعدم اهتمامه بالفرد ذلك أنّ المجتمع هو المنتج الرئيسي للأعمال الأدبية، « ويمكننا القول بأنّ المنهج الاجتماعي هو الذي تبقى في نهاية الأمر من المنهج التاريخي وأنصت فيه كل البحوث والدراسات التي كانت في البداية متصلة بفكرة الوعي التاريخي، إذ سرعان ما تحول هذا الوعي إلى وعي اجتماعي يرتبط بطبيعة المستويات المتعددة للمجتمع وبفكرة الطبقات وكذلك يرتبط بفكرة تمثيل الأدب للحياة على المستوى

[1] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 45.

الجماعي، وليس على المستوى الفردي، فمعنى أنّه كلما اعتبرنا الأعمال الأدبية تعبيرا عن الواقع الخارجي كان ذلك مدخلاً لربطها بتفاعلات المجتمع وأبنيته ونظمه وتحولاته، باعتبار هذا المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية والفنية».[1]

« ولنظرية الإنعكاس الفضل في تعزيز هذا التوجه الاجتماعي الذي طورته الواقعية وذلك بغية دراسة وتحليل الأدب إلا أنّ هذا المنهج صادف مشكلة وهي: مقارنة تطور المجتمعات من الناحية السياسية والاقتصادية بتطور وازدهار الأدب، وهذا ليس من الضروري إذ أنّ هناك العديد من المجتمعات التي كانت تشهد أزمات سياسية واقتصادية إلا أنّها أنتجت آدابًا كثيرة وبالتالي فإنّه ليس من اللّزوم أنّ يرتبط ازدهار الأدب بازدهار المجتمعات، ومن الأمثلة على ذلك: العصر العباسي الثاني الذي شهد تفككًا سياسيًا وأزمات اقتصادية كثيرة إلا أنّه يتميز بازدهار الأدب والفنون، فلقد سمي بالعصر الذهبي، فهو يعتبر ذروة الإبداع الشعري في الثقافة العربية».[2]

لقد قدم الماركسيون انطلاقًا من " كارل ماركس" تصور النقاد في ارتباط الإبداع الأدبي بازدهار المجتمع ويطلق على هذا التصور، تصور العصور الطويلة ويرى هذا التصور أنّ العلاقة بين البنيات الاجتماعية والبنيات الثقافية الإبداعية ليست علاقة فورية وإنّما هي ناتجة عن تأثر بطيء، مما يعني أنّه يمكن أنّ يشهد مجالات معينة ازدهارًا وقوة بينما في المقابل يكون المجال الأدبي ضعيفًا، وبعدها بفترة وبتأثير من هذه المجالات يزدهر الأدب، في حين تكون العوامل التي أدت إلى ازدهاره قد زالت واضمحلت لأنّ هذه العلاقة تستدعي فترات تأثير بعيدة المدى وإنّ التاريخ في مجمله نجده يهتم بالتوازن بين الجانبين وفق للعصور الطويلة وليس على المستوى القصير وهذا

---

[1] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 46.

[2] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 46، ص 47.

ما يطلق عليه بقانون العصور الطويلة الذي يرفض أنّ يقاس الأدب في علاقته بالمجتمعات بفترة وجيزة وإنّما في فترات زمنية طويلة وهذا ما يفسر ارتباط الأدب بالمجتمع ارتباطًا زمنيًا وليس عكسيًا.[1] ولقد اهتمت الماركسية والواقعية الغربية بتعميق الاتجاه إلى الاعتداد بالنقد الاجتماعي وضرورة التلازم بين الأبنية الاجتماعية والأعمال الأدبية، ولقد أنتج ذلك ازدهار علم الاجتماع واتساعه ومن بينهما " علم اجتماع الأدب" الذي نشأ قبل منتصف القرن العشرين ويسمى كذلك "سوسيولوجيا الأدب" ولقد تأثر هذا العلم بالتطورات التي شهدتها نظرية الأدب وأيضا مناهج علوم الاجتماع، مما أسفر إلى ظهور تيارين متوازين ومتباعدين وهما:

ـ التيار الأول: ويسمى علم اجتماع الظواهر الأدبية وهو تيار تجريبي يقوم بالأخذ من التقنيات التحليلية في مناهج الدراسات الاجتماعية مثل: تحليل المعلومات، والإحصائيات، والبيانات، ويستخلص منها النتائج.

يري التيار الامبريقي التجريبي في دراسته للأدب وعلاقته بالمجتمع أنّه ما هو إلا جزء مكون من الحركة الثقافية مثله مثل بقية المظاهر الثقافية، وأنّه يجب في تحليل الأدب من هذا المنظور أنّ يمتلك أكبر عدد من البيانات الدقيقة عن الأعمال الإبداعية الأدبية، فعند دراستنا للرواية مثلاً فإننا ندرس المردود الروائي في فترة معينة ونقوم بتجميع مختلف البيانات الإحصائية المتعلقة به.

هذا الأخير يعد جزءًا من الإنتاج السردي متمثلاً في القصة والقصة القصيرة والرواية، فنضع في الحسبان القصص والروايات المنتجة في هذه البيئة وعدد الطبعات التي أصدرت منها، ولو

---

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 47، ص 48.

استطعنا حتى أنّ نصل إلى عدد القراء الذين قرؤوها واستجابوا لها، ودرجة انتشارها، وما صادفها من عوائق، وما أسفرت عنه من ردود أفعال.

ولدراسة الظاهرة الأدبية كأنّها جزء من الظاهرة الاقتصادية، وجب علينا استعمال أكبر عدد وقدر ممكن من البيانات الإحصائية الدمبريقية كمصطلحات الإنتاج والتسويق والتوزيع، وكل ذلك له أهمية بالغة في معرفة حركة الأدب في المجتمع، ومدى انتشاره من عدمه وردود الأفعال الناتجة عنه، ومن رواد هذه المدرسة عند الغرب في دراسة سوسيولوجيا الأدب المدرسة الفرنسية ورائدها " اسكاربيه" وكتابه " في علم اجتماع الأدب" والذي يقوم فيه بدراسة الأدب كظاهرة إنتاجية، ترتبط بقوانين السوق وبالتالي دراسة الأعمال الأدبية من الناحية الكمية بالدرجة الأولى.[1]

ومن عيوب هذه المدرسة أنّها لا تهتم بالجانب النوعي للأعمال الأدبية فهي تساوي بين الرواية العظيمة ذات القيمة الخالدة، والرواية التي انتشرت لأنّها تعتمد على الإشارة أو غير ذلك من الأشياء التي تؤدي إلى الانتشار، ويرى هذا الاتجاه المساواة بين الرواية البوليسية مع الروائع الأدبية الخالدة وذلك أنّها تهتم بالدرجة الأولى بالجانب الكمي لا الجانب الكيفي، فهو يدرس الأعمال الأدبية من منظور اجتماعي.

وبما أنّها كذلك فاللغة الكفيلة بهذه الدراسة هي لغة الأرقام، وكل العوامل الخارجية المرتبطة بالأعمال الأدبية كالنسخ، عدد الطبعات، مجموع القراء، الترجمات إلى لغات أخرى، وما أنّ تجسدت في فيلم سينمائي، لكن هذا المنظور لا يمكنه الحكم على قيمة الأعمال الأدبية لأنّه لا يهتم أساسًا بالجانب النوعي أو قيمة العمل الأدبي، وبالتالي لا يملك الرؤية الجمالية للأعمال

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 48، ص 49، ص 50.

الأدبية، إلا أنّ هذا المنظور فتئ فيما بعد أنّ تطور وارتبط بمجالات عديدة يمكن لها أنّ تهتم بالجانب الجمالي والكيفي للأعمال الإبداعية الأدبية ومثال على ذلك: الدراسة التطبيقية التي أجرتها الباحثة السويدية " مارينا ستاد" حول الثقافة العربية ولقد ترجمت إلى اللغة العربية في كتاب معنون بـ " حدود حرية التعبير" ولقد استعملت في هذه الدراسة العديد من التقنيات التعبيرية والإحصائية والتحليلية ولكن بطريقة مغايرة للاستعمال السابق للمدرسة التجريبية في علم اجتماع الأدب ويكمن ذلك الاختلاف في اختيار ظاهرة معينة مراعية فيها سقف الحرية التي يتمتع بها كُتَّابَ القصة القصيرة بالتحديد في مصر في فترة حكم " جمال عبد الناصر" و " أنور السادات" حيث تعتبر أنّ الإبداع القصصي هو من أكثر الأشكال الإبداعية ارتباطًا بحركة المجتمع في حين يمكن لهذا الإبداع من أن يصادف العديد من العوائق الناتجة لهذا الإبداع القيمة السائدة كالممنوعات والمحرمات الاجتماعية، وهي الممنوعات الثلاث التقليدية:

1_ الممنوعات السياسية.

2_ الممنوعات الأخلاقية.

3_ الممنوعات الدينية.

ويعتبر المنطلق المنهجي الثاني لهذه المدرسة حسب الكاتبة هو أنّ الحرية ملازمة للإبداع، وأنّ مؤشر قمع الحرية من أهم المؤشرات لتدخل المجتمع في تقويم الإنتاج الأدبي، هذا يعني أنّه يجب على الكاتب أنّ يمارس نوعًا من الرقابة عند كتابة أعماله الأدبية، لكي لا تتسم بالجرأة وتسمى هذه الرقابة بالرقابة الداخلية، وهي التي يفرضها الأديب على نفسه بضغط من رقابة

خارجية فرضها المجتمع وحرية التعبير لها علاقة وطيدة بالقيمة النوعية للأعمال الإبداعية، وليس فقط مؤشرًا كميًا ولكنها مؤشر كيفي أيضا.[1]

ولقد حددت الباحثة حالات الكتاب المصريين الذين كانت أعمالهم الأدبية قد طرأ عليها حظر كلي أو جزئي لمنع النشر، أو الرقابة ذلك مع كتاب القصة القصيرة[2]، أو تعرضوا للسجن عند قيامهم بنشر هاته الأعمال الأدبية.

فالدراسة السوسيولوجية للأدب هي التي تجعل من الأدب في جوهره منطلقًا للتعبير عن الفرد والجماعة، فهي بذلك تتخلص من التقييمات الكمية وتهتم بالخواص النوعية، ونجد البعض أيضا من دراسات سوسيولوجية الأدب التجريبية تملك أهمية الكشف عن العلاقة التي تربط الإنتاج الثقافي بالمستويات المتعددة سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية.[3]

وبالنسبة للنقد الذي وجه لهذا الاتجاه، فهو أنّه يكتفي برصد الظواهر فقط دون التعمق في التفسير والربط الخاص بها، ويقيم التوازي بين الظواهر الغير طارئة للتجانس، فالأدب أصلاً عبارة عن إنتاج تخيلي وإبداعي، ومن عيوب سوسيولوجيا الأدب أنّها تقوم بفرض مقارنة بين مستويات غير متوافقة ومتجانسة، مما يفضي بها إلى أنّ تكون نتائجها مفيدة لعلم الاجتماع أكثر مما هي مفيدة للنقد والأدب.[4]

---

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 51 ، ص 52، ص 53.

[2] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 53.

[3] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 54، ص 55.

[4] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 55.

التيار الثاني: أو ما يعرف بالمدرسة الجدلية العائدة إلى هيجل صاحب الرأي الذي بلوره فيما بعد " كارل ماركس" في العلاقة القائمة بين البنى التحتية والبنى الفوقية التي تخص الإنتاج الأدبي والإنتاج الثقافي، ونظرًا للتفاعل والتبادل الحاصل في العلاقة يدرجها تحت منظور العلاقة الجدلية.

ويعد " جورج لوكاتش" المنظر الفعلي لهذا الاتجاه في النصف الأول من القرن العشرين من خلال دراسته وتحليله للعلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع في حين أنّ الأدب تعبير وتمثيل وانعكاس للحياة، وقد أعطى دراسات سوسيولوجية أخرى للأدب أو ما هو يعرف بـ: (سوسيولوجيا الأجناس الأدبية) وهي التي تقوم بربط نشأة الأدب او الجنس الأدبي وتطوره بين ظروف وطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافة لمجتمع ما.

ويأتي بعد " جورج لوكاتش" منظر آخر وهو " لوسيان غولدمان" الذي ينطلق في دراساته من مبادئ " لوكاتش" وطوّر فيها، ليضع منها جملة من المصطلحات والتقنيات التحليلية، فيطلق على هذا الاتجاه المتبنى من طرفه " علم اجتماع الإبداعي الأدبي" الذي يهتم بالجانب الكيفي مثلما بالجانب الكمي الذي حاصلاً على الاهتمام من قبل مدرسة " اسكاربيه"[1]

ومن المبادئ العميقة التي ينطلق منها غولدمان ما يلي:

ـ أولا: حسب غولدمان الأعمال الأدبية ما هي إلا تعبير عن وعي المجتمع لا وعي الفرد المبدع، وبالتالي فإنّ الأدب ليس نتاجًا فرديًا كما أنّه كلما كانت درجة الوعي لدى المبدع عالية وعميقة بالمجتمع أمكنه ذلك من تجسيد المنظور الجماعي أوضح وأقوى، ووفقًا لهذا نصادف نوعين من الأدباء على اعتبار يمكنهم من التعبير وفق المنظور الجماعي، فهناك أدباء يمتلكون وعيًا مزيفًا،

---

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 51 ، ص 56، ص 57.

وهذه الفئة غالبا ما تكون إنتاجاتهم الأدبية محط إهمال ونسيان، لأن القارئ لا يراها تعبر عن حاله وذاته، وفي المقابل هناك أدباء آخرون لهم القدرة على التمثيل الحقيقي للوعي الجماعي.

_ ثانيا: تتميز الأعمال الأدبية باختلاف أبنية دلالتها الكلية ويمكن لنا أنّ نقول أنّه هناك تناظر بين بنية الوعي الجماعي من جهة والبنية الدلالية من جهة أخرى، هذا يعني أنّه عندما نقرأ الأعمال الأدبية فنحن بصدد إقامة بنية دلالية كلية في تغير مستمر، وذلك عند الولوج من عنصر إلى آخر وعند انتهائنا من القراءة تتجسد لنا تلك الصورة للبنية الدلالية الكلية، والتي تكون بدورها متوافقة مع الوعي الاجتماعي المتكون لدى الأديب.[1]

إنّ هذا الترابط بين البنية الدلالية والوعي الجماعي من أهم النقاط عند " غولدمان" ويطلق عليه مصطلح " رؤية العالم"، فكل عمل أدبي يمكن أنّ تتجسد فيه رؤية العالم ليس العمل الأدبي المنفرد وحسب، وانطلاقا من هذا المنظور في علم اجتماع الإبداع الأدبي أسس " غولدمان" منهجه في سوسيولوجيا الأدب، والذي يطلق عليه المنهج التكويني أو التوليدي، ولغولدمان كتاب جاء بعنوان " من أجل تحليل سوسيولوجي للرواية"، يدرس فيه الرواية الغربية نشأتها، تحولاتها، مراحل تطورها المختلفة، كما جاء هذا المنهج بإضافة حقيقية وهي الاهتمام بالجانب الكيفي في دراسته للأعمال الإبداعية ولم يغفلها بل ركز بصفة خاصة على هذا الجانب لمعرفة العلاقة بين الأعمال الأدبية والضمير الجماعي، فلقد جعل مستوى الأديب يتجسد في مدى قدرته على صياغة رؤية للعالم والتي تعبر عن ضمير المجتمع الكائن أو الذي يمكن له أنّ يكون، فمثلاً لا يمكن أن تساوي

---

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 51 ، ص 58، ص 59.

عمل روائي عظيم، مع عمل بوليسي ذلك أنّ هذا الأخير هو مجرد أداة للتسلية ولا يحمل أي رؤية للعالم. [1]

ومن الدراسات التطبيقية في الثقافة العربية التي اعتمدت المنهج التكويني في تحليل الظواهر الأدبية العربية، دراسة العالم التونسي " طاهر لبيب" وذلك من خلال رسالته للدكتوراه التي قام بها في أوروبا وكان مشرفه عليها " غولدمان"، وتناول في رسالته ظاهرة الغزل العذري في العصر الأموي، درسها من حيث أنّها تعبير عن رؤية العالم لفئة معينة من المجتمع، وهم الشعراء العذريون فلقد حاول أنّ يقيم علاقة بين تاريخ الشعر العربي في الفترة الأموية من جهة وطبيعة الأبنية الاجتماعية وحتى الاقتصادية لهؤلاء الشعراء من جهة أخرى، ومدى تمكنهم من تجسيد رؤية للعالم تمثل واقعهم الاجتماعي وبالتالي يبقى مصطلح رؤية العالم من أهم المصطلحات التي تساعد[2] الناقد على إبراز تلك المقاربة السوسيولوجية للأدب والتطور الذي حدث في المناهج النقدية الحديثة قد أدى إلى تولد تيار جديد في سوسيولوجيا الحديثة تماما عن التيارين الكمي والكيفي، وقد أدى هذا التطور إلى الأخذ والاستفادة من معطيات علم جديد يدعى " علم النص"، في حين أنّ التيار الجديد يطلق عليه " علم الاجتماع النصي" ولقد استفاد هذا الأخير من علم النص كما سبق وأشرنا إليه والسوسيولوجيا بصفة خاصة، وذلك بغية أنّ تكون المقاربة السوسيولوجية مرتبطة بالوسيط الحقيقي بين الأدب والحياة، ألا وهو اللغة، فاللغة هي مادة التواصل في الحياة ويرى علم اجتماع

---

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 51 ، ص 59، ص 60.

[2] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 51 ، ص 60، ص 61.

النص الأدبي أنّ اللغة هي المرشحة لأنّ تكون المؤشر الحقيقي الذي يعني ويركز عليه في التحليل النقدي، وذلك بغية تجنب الفرق النوعي بين الظواهر الأدبية المختلفة. [1]

ولعلم اجتماع النص الأدبي منطلقات كثيرة وتاريخ كبير والذي يعتبر هو الحلقة الأخيرة من سوسيولوجيا الأدب التي استفادت من التطور في المناهج النقدية الحديثة كالبنيوية والسميولوجية والنصية، وذلك بغية العثور على وسط حقيقي تمكن من خلاله معرفة العلاقة بين الأدب والمجتمع وفق دراسة عملية خصبة وجادة، وتمثل هذا الاتجاه أو التيار الناقد " بيرزيما" والذي له كتاب " النقد الاجتماعي" تناول فيه أهم الاتجاهات التي سبقته، وما طرأ عليها من انتقادات وعراقيل، ويقدم فيه كاقتراح تصورًا جديدًا أكثر تطورًا في سوسيولوجيا الأدب. [2]

ومن النقاد الذين وافقوا صلاح فضل الرأي في ربط الأدب بالمجتمع ودراسته وفقًا لتلك الظواهر الاجتماعية " السيد ياسين" الذي يرى: « ربط الأدب بالمجتمع ربطًا عضويًا وثيقًا، فالأدب _ ولا شك _ ظاهرة اجتماعية، وهو بهذا الوصف يشتبك مع عديد من الظواهر الاجتماعية الأخرى، بحيث يصح القول أنّه لا يمكن فهم الأدب في حقبة تاريخية محددة بغير تحليل دقيق للظروف السياسية والاقتصادية السائدة في نفس الحقبة ... أي أنّ التاريخ لا بد أنّ يكون اجتماعيًا، وفي نفس الوقت لا يمكن تصور علم اجتماع غير تاريخي، ذلك أنّ كل واقعة اجتماعية كما يقرر الفيلسوف الفرنسي " لوسيان غولدمان" واقعة تاريخية والعكس صحيح ... والحقيقة أنّنا لو درسنا التحولات الكبرى في الآداب العالمية، لأدركنا أنّها لا يمكن تحليلها وفهمها وتفسيرها في معزل عن

---

[1] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 51 ، ص 61، ص 62.

[2] ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 51 ، ص 63.

التحليل الاجتماعي للعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية، وبغير أنّ نغوص في ضرب عديد من الأمثلة للتدليل على صدق ذلك، نكتفي بأنّ نشير إلى الملاحظات الذكية التي أمدها الكاتب الانجليزي " فورستر" في مقدمته التي كتبها لدراسة هامة نشرت بالغة الفرنسية في الأربعينات بعنوان (جوانب الأدب الانجليزي من عام 1918 حتى عام 1940)، يذكر فورستر أنّ أدب هذه الحقبة لا يمكن فهمه إلا برده لجو الحرب الذي خيم على أوروبا في هذه الفترة ... غير أنّ هناك بالإضافة إلى الحرب كعامل اجتماعي أثر في نوعية الإنتاج الأدبي والفكري، ثلاثة عوامل حاسمة لا يمكن فهم هذا الإنتاج إلا على ضوء تحديدها وتعيين آثارها، أول هذه العوامل هي الحركة الاقتصادية ... والعامل الثاني الحاسم هو الحركة السيكولوجية ... ونجد أخيرا العامل الثالث ممثلا في حركة علم الطبيعة الحديث».[1]

ومعنى هذا أنّ السيد ياسين يرى هو الآخر بأنّه لا يجب دراسة الأدب بمعزل عن محيطه الذي أنتج فيه فإذا قمنا بدراسة الأعمال الأدبية بمعزل عن المجتمع فإنّ هذه الدراسة لا تكون دراسة كاملة وإنّما دراسة مبتورة ذلك أنّه يجب أنّ نأخذ في الحسبان دور العوامل الخارجية في دراسة العمل الأدبي دون أنّ نغفل عن ذكر و دور أي ظاهرة اجتماعية

ساهمت في إنتاج هذا العمل الإبداعي الأدبي ولكي يعزز السيد ياسين رأيه هذا قام بتقديم أمثلة على ذلك مثال: دراسة الكاتب الانجليزي " فورستر" للأدب الانجليزي الذي قام من خلالها بربط الأدب بالفترة والحقبة الزمنية التي أنتج فيها ومدى تأثير الأوضاع الاجتماعية على الأدب آنذاك.

---

[1] السيد ياسين: التحليل الاجتماعي للأدب، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ط3، 1991، ص 185، ص 186، ص 187.

2_ النموذج الثاني: كتاب منهج الواقعية في الإبداع الأدبي

_ من السياق الأدبي إلى السياق الاجتماعي:

اهتمت الواقعية بالسياق الأدبي للأعمال الإبداعية فلقد كانت تركز على مدى تأثير السياق الاجتماعي في الأدب إلا أنّها سرعان ما انتقلت إلى الاهتمام بمدى فاعلية هذه الظواهر الاجتماعية على النقد بصفة خاصة مما أسفر إلى ظهور علم جديد يسمى " علم اجتماعية الأدب".

إنّ المولد الحقيقي لهذا العلم لم يكتمل إلا في منتصف القرن العشرين إلا أنّه كانت له إرهاصات قبل ذلك مثلما قال به العديد من الباحثين، وتتجلى هذه الإرهاصات والأصول عند معرفتنا لتاريخ الواقعية فلقد ذهبت فئة من الباحثين إلى القول بأنّ " مدام دوستال" هي رائدة هذا الاتجاه وذلك بإصدارها لكتاب (عن الأدب باعتبار علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية عام 1810)، والذي تطرقت فيه إلى تفسير مميزات الأدب القديم والحديث في الشمال والجنوب وذلك باعتمادها على المبادئ الاجتماعية التي كانت سائدة في البيئة التي عايشتها خاصة مبادئ: " مونتسكيو" كما أنّها درست مدى تأثير كل من العادات، التقاليد، الدين، القوانين في الأدب وتأثير هذا الأخير على كل تلك المنظمات وبذلك تعد " مدام دوستال" هي الرائد الفعلي لهذا الاتجاه، رغم أنّ تلك المبادئ التي اعتمدتها لم تمكنها من الوصول إلى الهدف التي كانت تبتغيه ولقد فضلت " مدام دوستال" الأدب الألماني على الأدب الفرنسي ذلك أنّ هذا الأخير كانت تسيطر عليه الطبقة الإرستقراطية التي تهتم بمحافظة الفن على الذوق بينما الأدب الألماني كان هو الأدب الوحيد الذي جعل من النقد منطلقاته. [1]

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 215 ، ص 216.

لقد تولدت فكرتان رئيستان في المجتمع الذي عايشته " مدام دوستال" وهما روح العصر، والطابع القومي هاتان الفكرتان عرفتا توزيعًا ثلاثيًا وذلك عند (تين) من خلال مبادئه " الجنس، الوسط، اللحظة التاريخية المحددة " ذلك أنّه بفعل تجانس هذه العناصر تتحدد لنا الظاهرة الأدبية، والشيء الذي افتقر إليه تين هو تلك الفكرة الواضحة التي تفصل بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وخصائص كل منهما ولقد انتقده " لانسون" بعد خمسين سنة وذلك عندما قال: بأنّ تحليل الشعرية لا يجتمع بتحليل السكر سوى في الاسم وحسب.

لا بد على أي ناقد أو مؤرخ للأدب أنّ لا يهمل دور العوامل الخارجية في إنتاج العمل الأدبي وبشكل خاص تلك النشاطات الاجتماعية فبفضل تين أصبحت هناك مسلمة تقول: بأنّ الأدب هو جزء لا يتجزأ من الواقع الفردي والواقع الاجتماعي، ولا بد أنّ نتعامل مع هذه الظواهر الاجتماعية مثلما نتعامل مع أي ظاهرة نعيشها في حياتنا وذلك بفهمها وشرحها وتلقيها.

يعتبر الموجه الرئيسي للأدب الألماني هو تلك التقاليد الفلسفية والتراث الاجتماعي فما نلحظهُ هو أنّ تراث كل من " هيقل " و " ماركس" ظل حيًا عبر الأجيال. [1]

شهدت روسيا في مطلع القرن العشرين ظهور نظرية جديدة وهي نظرية اشتراكية الأدب خاصة من الجانب الاجتماعي بداية من (بليخانوف) إلا أنّه سرعان ما انتقل النقد الأدبي الروسي إلى الاهتمام في تفسير الأدب ودراسته على الجانب التوثيقي (التوثيق الاجتماعي) الذي تقوم به الأعمال الأدبية مهملا الجوانب الاجتماعية الأخرى للأدب ولقد شهد هذا الموقف اعتراضا من المدرسة الشكلية داخل الاتحاد السوفياتي التي كانت ذات نفوذ فكري كبير لأنها في الحقيقة طورت من المدرسة الألمانية (الفيلولوجية) والتي تقول بتأسيس (علم الأدب) وفق قواعد ومنطلقات لغوية

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 216 ، ص 217.

وجمالية مضبوطة وتعد هذه النظرية من أهم النظريات التي عارضت وبشكل جاد كل المناهج التي تقول باجتماعية الأدب بشكل عام.

إنّ علم الاجتماع عند سعيه في البحوث الإنسانية مع (كوميت) و(سبينسر) و(دوركهايم) تخلى عن دراسة الأدب وذلك لكونه يحمل ظواهر معقدة وافتقار بياناته وتعريفاته لليقين، إنّ مبادئ اجتماعية الأدب لم تتطور إلا في النصف الأول من القرن الحالي وذلك بفعل مجموعة من الآراء والأفكار الرئيسية التي لم يكتب لها التطور والتماسك إلا حديثا دون إغفال النظر عن دور الأدب المقارن ذلك أنه يعتبر من أهم العلوم الأدبية الحديثة التي ساهمت في إضافة الكثير من البيانات الهامة في هذا الجانب.

يرى بعض الباحثين أن كتاب (الأجيال الأدبية) " لهنري بير" الذي نشره سنة 1948 هو المنطلق الرئيسي لاجتماعية الأدب ذلك أنه قد أثبت فكرة الإستلهام الجمالي المتمثلة في الأجيال الأدبية ثم تلاه كتاب (مدخل لعلم الأدب) " لميشو" الذي نشر عام 1950 في اسطنبول والذي تم فيه عرض مصطلحات اجتماعية الأدب الأساسية بوضوح لأول مرة.[1]

في حين يرى البعض الآخر من الباحثين أنّ كتابات " لوكاتش" هي التحول الحاسم في دراسة اجتماعية الأدب ذلك أنّ جل البحوث والدراسات التي سبقته ركزت فقط على مدى توافق العمل الأدبي مع مضمون الضمير الاجتماعي مهملة بذلك كل ما له علاقة بالإبداع الخيالي في حين مع لوكاتش نرى عكس ذلك فهو يهتم بمدى توافق وتجانس الإبداع مع الضمير الجماعي ليس على مستوى المضمون وإنما فيما يخص جانب القيم والبنية التركيبية وطبيعة التطابق بينهما

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 217، ص 218، ص219,

ولهذا تعتبر بحوثه خالية من نقاط الضعف، فتلك القيم يمكن أن نجدها نفسها في مجتمعات وعوالم مختلفة وبذلك فإن التحويل الخيالي لا يعتبر عائقا في طريق العلاقة بين الثقافة والمجتمع بل على العكس من ذلك بقدر ما استطاع العمل أن يبلغ نسبة عالية من التماسك أصبح عملا هاما ذو وحدة داخلية خصبة في دراسة اجتماعية الأدب. [1]

لدراسة اجتماعية الأدب وفق مستويات متعددة منهجان رئيسيان هما:

ـ الأول: وهو علم اجتماع الظواهر الأدبية وما يرتبط بها من وسائل الاتصال والنشر، والتلقي، والتأثير في القارئ من خلال الأنظمة المختلفة، وفي هذا الجانب تمثل الإحصائيات والاستفتاءات والبيانات الاجتماعية دورا مهما ورئيسيا ومن رواد هذا المنهج (اسكاربيت).

ـ الثاني: هو علم اجتماع الإبداع الفني في الأدب ومادة بحثه هي الخلق الجمالي في علاقته بالمؤلف والمجتمع ورائد هذا الاتجاه هو (غولدمان)، ويتداخل أيضا في هذا المنهج الاتجاه السيميولوجي الذي يهتم بالتحليل الاجتماعي للرموز الفنية في الأدب من صور وأبنية بغية معرفة الطابع الاجتماعي لتلك المبادئ الجمالية، ويميل إلى هذا الاتجاه جماعة كبيرة من النقاد والمفكرين الإيطاليين.[2]

يدرس منهج علم الاجتماع الظواهر الأدبية مثلما يدرس أي حالة اجتماعية، فيذهب رواد هذا المنهج إلى استعمال المفاهيم الخاصة بالاجتماع والاقتصاد وتوظيفها على الأدب، وتكون هذه الدراسة وفق خطوات ثلاث وهي: الإنتاج، التسويق، الاستهلاك وفي المرحلة الأولى من هذه

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 219.

[2] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف ، القاهرة ،مصر ، ط2 ، 1980 ، ص 220.

الدراسة يعد الكاتب هو منتج السلعة الأدبية، فيتحدث عن كل ما يتعلق بانتماءاته الطبقية والزمنية والعنصرية، كالجنس والوسط الذي عاش فيه، والزمن، بعدها تأتي عملية التحليل والتي يقوم من خلالها بتحليل كل ما له علاقة بالجانب الاقتصادي للكاتب من حيث مهنته وحتى ظروفه المادية بشكل خاص، ومتى أصبحت تعد الكتابة على أساس أنها وظيفة يمكن الكسب والعيش منها، أي الكتابة من أجل الانتفاع، فلقد كانت هذه الفكرة رائجة على مدى العصور الوسطى إذ اعتبر الأدب مصدر رزق بصفة عامة، وذلك عن طريق تكفل " حامي الأدب" بالأديب من الناحية المالية، وكل هذا له علاقة متماسكة سواء بالبنية الاجتماعية أو حتى البنية الاقتصادية، وبهذه المناسبة يجدر ذكر ذلك البحث الموسع الذي يعتبر بمثابة إضافة وفخر للأدب العربي، هذه الدراسة التي قام بها " طه حسين" بفينيسيا من خلال مؤتمر الكتاب الدولي سنة 1952، والتي تحدث فيها عن دور الكتاب في المجتمع المعاصر وتناول في بداية بحثه بتحليل آراء الأمراء والملوك حول الأدباء وذلك في فترة العصور الوسطى، ويعتبر هذا النوع من الدراسات مجالا خصبا، كما أنه يزيح ذلك الحكم على الأدب العربي بإدانته دون المعرفة والإحاطة الحقيقية به وبتاريخه الحقيقي، ولقد أسفر هذا التحليل إلى معرفة مجموعة القوانين المتحكمة في مسيرة الأدب من الناحية الاجتماعية. [1]

وإذا كان ينظر للأدب في المرحلة الأولى على أنه منتج، فإنه في المرحلة الثانية ينتقل إلى الاهتمام بدراسة الظواهر الاجتماعية والحالة الاقتصادية ومدى تأثيرها على تسويق الكتاب، بمعنى أنه يهتم في هذه المرحلة بكل ما له علاقة بالعوامل الخارجية سواء فيما يتعلق بالنشر أو الطريقة المعتمدة في توزيع تلك الأعمال، والوسائل المعتمدة في الترويج لها، راجعًا في ذلك بصفة خاصة

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 220 ، ص 221.

إلى كل ما له علاقة بالإحصاء، إلا أنه وبالرغم من ما قدمته هذه المرحلة من فائدة على مستوى معرفة الأحوال الثقافية الخاصة بمجتمع ما إلا أنها لا ترقى إلى أن تصل إلى معرفة الأثر الأدبي.

وكمرحلة أخيرة من مراحل دراسة منهج علم اجتماع الظواهر الأدبية، تأتي دراسة الاستهلاك الأدبي أو تلقي هذه الأعمال الإبداعية الأدبية أي القراءة، أنواعها وظروفها، بداية من الجمهور الحقيقي المستهلك لهذا الكتاب، وردود أفعاله ومدى تقبله ونجاحه الاقتصادي والأدبي سواء عن طريق ترجمته إلى لغات عديدة، أو استمراره وخلوده عبر الأزمنة، وصولا إلى التمكن من معرفة ودراسة مدى تحقيق التذوق الفني من خلال تلك الظواهر الاجتماعية. [1]

لقد تعرض منهج علم اجتماع الظواهر الأدبية إلى الانتقاد وذلك أنه يقتصر في دراسته على توظيف الإحصاءات، فهم ينظرون إلى الأدب بشكل سطحي ويهتمون فقط بكل ما له علاقة بالعوامل الخارجية، سواء بدراستهم للحالة الاجتماعية أو الطبقية للمؤثرين الأدبيين، إلا أنه بغية تحقيق هذا المنهج لنتائج مفيدة على مستوى الدراسات الأدبية وجب عليه أنّ يأخذ بعين الاعتبار كل ما له علاقة بالعمل الأدبي من عوامل داخلية كالإبداع الفني بحد ذاته، وأيضا العوامل الخارجية المساهمة فيه.[2]

« تعتبر مدرسة (بنائية التولد في اجتماعية الأدب) التي تزعمها " لوسيان غولدمان" من أهم المدارس التي تناولت اجتماعية الأدب فلقد اعتمد من خلالها بصفة خاصة على اجتماعية الإبداع الأدبي بشكل عميق هذا ما أدى للوصول إلى نتائج مفيدة وخصبة في جانبي الأدب والمجتمع.

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 221 ، ص 222.

[2] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، ص223 ، ص 224.

وأول من جاء بهذه المدرسة هو العالم السوسيري " دي سوسير" والذي اعتمد بشكل رئيسي على أسس البنائية الحديثة، فلقد درس الأبنية بشكلها المتكامل لا كأبنية جزئية إلا أن أكبر المنادين لهذه المدرسة في العصر الحديث هما الرائدان الكبيران (جان بياجيه) و (ليفي شتراوس)، فلقد أصبح هذا المنهج يعتمد في مجالات البحوث المختلفة عند الغرب، سواء في العلوم الدقيقة أو حتى العلوم الإنسانية منها كما اعتمدته الفلسفة، علم النفس، الاجتماع، التاريخ، الأدب، وغيرها ».

تعتبر صفة " التوالد" التي تميزت بها هذه المدرسة هي صفتها الثانية، ذلك أن هذه البنائية ليست إطارًا جامدًا لا يتغير بل هي في حركة مستمرة ومتجددة ولا يتم الكشف عنها مرة واحدة وإنما بالنظر المستمر في تلك التولدات المتجددة والأصل في هذه الصفة أنها تعود إلى (جان بياجيه) فلقد أخذها غولدمان منه.

يرى غولدمان أنه لا يجب الفصل التام بين القوانين الرئيسية والأساسية ذلك أنه بنى نظريته في اجتماعية الإبداع الفني على أساس تلك القوانين العامة، فهو يرى بأنها المتحكم الرئيسي سواء في السلوك الإبداعي على المستوى الثقافي أو في تلك السلوكات اليومية التي يقوم بها كل فرد سواء في مجتمعه أو من الناحية الاقتصادية.

لذلك يجدر بعلم الاجتماع أن يستخرج هذه القوانين العامة من المجتمع المعاش وتطبيقها على حد سواء على مختلف الأنشطة والممارسات المهنية، وحتى في حياتهم العائلية وتطبيقها أيضا على (راسين) أو (شكسبير) وغيرهما من الكتاب، فيجب علينا عند تطبيقنا لهذه القوانين العامة أنّ نضع في الحسبان تلك القوانين الخاصة التي تندرج تحتها والتي يتميز بها كل قطاع اجتماعي عن الآخر، فلا بد أن نقوم باستخراج تلك القوانين العامة التي من خلالها نتمكن من شرح القوانين الجزئية أو الخاصة، بغية الوصول إلى معرفة مدى الحضور الأدبي في الإبداع الثقافي في داخل

هذا المجتمع، ذلك أنه من الضروري فهم هذا الإبداع الثقافي داخل المجتمع العام وليس في حدا عنه فالعلاقة بينهما هي علاقة إلزامية، كما أنه أيضا لا يمكن أن نقوم بدراسة مختلف الأعمال الأدبية بمعزل عن منتجها وعن تأثير مختلف العلاقات الاجتماعية منها والتاريخية عليها، ذلك أنه إذا قمنا بالدراسة بمعزل عن هذه الجوانب لا نصل إلى الصورة الكلية الخصبة المتعددة المفاهيم بل تتكون لنا مجرد صورة جزئية مغايرة للواقع.[1]

« وحسب غولدمان فإن الخصائص التي تميز السلوك البشري ومنها ما يخص مظاهر الإبداع الفني أيضا تتلخص في ثلاث عناصر:

1_ تأقلم الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه حتى يستطيع سلوكه أن يتعايش مع الأمر.

2_ تتصف البنية التركيبية الكلية بصفتها التي تميل إلى الترابط والتماسك.

3_ إن البنية الدلالية في تغير مستمر بتغير كل عنصر بالعنصر الذي يليه».

ومن هذا فالمشكلة الأولى أنها في صدد التعقيد لما يحمله كل من الواقع الأدبي غير الواقعي (خيالي) والواقع المعاش ويمكن تحديد مستويين لهاته العلاقات:

_ المستوى الأول: هو مستوى القواعد والشروط التي من خلالها يتم وضع المبادئ والتي هي الأخرى تعد عاملا لتركيب وتشكيل الواقع الأدبي.

_ أما المستوى الثاني: هو مستوى الوظيفية " الأنثروبولوجية" التي يتشكل منها الإبداع الخيالي.

فقدرة الفنان في خلق واقع متوحد ومتكامل ومتماسك في عمله دليل على أنه يتبع ويسير وفق مبادئ وأساسيات المقولات الجماعية لبيئته، وعلى هذا فوظيفته تضمينه والتزامه بقوانين عالمه

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 226 ، ص 227، ص 228.

عند خلقه لما قام به أفراد الجماعة فهو يعكس بهذا كل ما يتعلق بالمجتمع والجماعة، وهناك فكرتان أساسيتان قبل التقيد بمذهب " غولدمان".

الفكرة الأولى وتتمثل في " البنية الدالة"، والثانية رؤية العالم، ويرى " غولدمان" هناك شرط لا بد من إتباعه لما يترتب عليه من حصيلة مهمة في اجتماعية الأدب.

وفي تعريفه للبنية يستند إلى مجموعة من المبادئ والخطوط العامة " لجان بياجيه"، إذ يقول: « توجد بنية ما عندما تجتمع بعض العناصر في وحدة شاملة تتميز بخصائص محددة لمجموعها، بحيث تتوقف هذه العناصر جزئيًا أو كليًا على مميزات الوحدة الشاملة أي عند اجتماع أو تراكب مجموعة من المؤشرات والعناصر في وحدة شاملة كلية هذا يؤدي فعليًا لوجود بنية، ولا شك أنّ هذه العناصر تقف أيضا على خصائص هذه الوحدة.

وحسب غولدمان أنّ النشاطات الإنسانية لها ميزة خاصة حيث أنّها أبنية دالة يصعب فهمها وتفسيرها إلا من خلال الدراسة التوليدية، كما أنّه يصعب الفصل بين عملية الفهم وعملية التفسير في أي بحث يحدث في هذه النشاطات.

وأما رؤية العالم وطابعها الاجتماعي المميز لها يكون في أنّ كل شخص يريد أنّ يكون تفكيره الخاص ومشاعره وسلوكه أيضا وحدة تركيبية متماسكة، وأنّ أي انتماء للفرد ضمن الحيز الاجتماعي الكلي له آثاره البعيدة وهذا الفرد أثناء انتماءه إلى مجموعة من القطاعات يمثل نسيجًا ضعيفًا فتشهد هذه الحالة نوعًا من الصعوبة في الدراسة على عكس الجماعة التي تشهد نوعًا من السهولة ».[1]

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 228 ، ص 229، ص 230.

« تمثل رؤية العالم لدى الإنسان من الناحية الشخصية ذلك المزيج الذي يشمل آراءه الفكرية وأيضا مشاعره وعواطفه وأهدافه التي يطمح إلى الوصول إليها، المتولدة من واقعه الاجتماعي، ومن الأمثلة على ذلك المثال التالي: فمثلا عندما يضطر شخص ما إلى الانتقال من حياة الريف إلى حياة المدينة وذلك بغية عمل ما فإنه سيواجه أمورًا جديدة عكس ما كان يعيشه في الريف إلا أنه مضطر لأن يتأقلم مع هذا الوضع الجديد بمعنى يحدث هنا ذلك التمازج والتجانس بين اشتياقه وحنينه للماضي الذي يتمثل في حياة الريف، وتعايشه الجديد مع حياة المدينة».

ولهذا لا يمكن أنّ نقول عن عمل أدبي فني بأنه عمل عظيم إلا إذا كان جامعًا في تعبيره عن ذلك الوعي الفردي والجماعي معًا، وهذه هي رؤية العالم.

ولذلك وجب على الناقد عند دراسته لهذه الرؤيا أنّ يهتم بالدرجة الأولى بالوحدات الرئيسية للعمل في حد ذاته وأنّ يعرف دلالات تلك العناصر الأخرى الغير الرئيسية.

لا بد على الناقد أنّ لا يغفل في دراسته للأعمال الأدبية الجانب العاطفي إضافة إلى ما يهتم به بدراسة الجانب الفكري هذا إنّ كان يريد الوصول إلى رؤية العالم بمعناها الحقيقي الذي كان يريده الكاتب أي أنّ يهتم بالعوامل الفردية والجماعية على حد سواء، لذلك يعد علم اجتماع الأدب والنقد علم يهتم بمعرفة الأهداف الحقيقية للمؤلفين والمبدعين إلا أنّه لا يجب الإستناد عليه كثيرًا ولا اعتباره كمقياس نهائي لمعرفة الرؤية العامة للعمل الإبداعي.[1] من بين المبادئ الأساسية لبنائية التوالد في دراسة اجتماعية الأدب ما يلي:

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 231 ، ص 232، ص 233.

1_ إنّ العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي ترتبط بوجه خاص بتلك الأفكار الذهنية والتركيبات العقلية والتي تسمى بسلم القيم والعنصر المتحكم في هذا الأخير هو المجتمع وأيضا الإبداع الخيالي للكاتب.

2_ البنية الذهنية هي نتاج لتجارب اجتماعية وليس فردية معنى هذا أنه لا يمكن أنّ نعد تجربة شخص واحد بنية ذهنية وإنما يلزم أن تكون تجارب لمجموعة من الأشخاص.

3_ لا يمكن أنّ نفرق في العلاقة بين البنية الذهنية للمبدع والبنية الذهنية للمجتمع ذلك أنهما في ارتباط وثيق، فغالبًا ما تتطابق هاتين البنيتين مع بعضهما البعض.

4_ يمكننا أنّ ندرس الأعمال الأدبية الكبرى والأعمال الأدبية المتوسطة القيمة بمنهج واحد، لكن الاختلاف هنا يكمن في أنّ الأعمال الأدبية الكبرى تحمل نوعا من الإيجابية التي تجعل العمل الأدبي يتميز بالجمالية.

5_ إنّ الضمير الجماعي خاضع لأبنية سلم القيم الذي يعرض لنا العالم الخيالي من خلال الأعمال الإبداعية وهذه العملية ليس شعورية كما أنّها ليست لاشعورية أيضا بالمعنى الحرفي وإنّما هي عملية تتأتى من خلال البحث المعمق في الظواهر الاجتماعية وحالاته المختلفة.

6_ وجب على الدارس الخائض في اجتماعية الأدب أنّ يضع في الحسبان بالدرجة الأولى البنية التي قام عليها العمل الأدبي ككل، وذلك مع احترام خصوصية العمل الأدبي أي دون إضافة أي شيء له وهذا ما يهمله الكثير من النقاد، وهو ملزم أيضا بتفسير وشرح عملية التوالد النصي.

7_ ترتكز القيمة الجمالية عامة والأدبية خاصة عند بنائية التوالد في اجتماعية الأدب إلى النزعة الكلاسيكية لعلم الجمال سواء مع " كانط"، " هيقل"، وحتى " لوكاتش" وهي ذلك[1] التوتر المتسامي عليه بين التعدد والثراء الملموس من جانب والوحدة التي تنتظم هذا التعدد في كل متماسك من جانب آخر.[2] ومعنى ذلك أنّ العمل الأدبي يكون متصفًا بالتنظيم الدقيق إذا كان ثريًا وغنيًا في عالمه المحسوس، وأشد وضوحًا ودقة في وحدة بنائية مترابطة. [3]

تعد هذه المدرسة العمل الإبداعي وحدة بنائية مترابطة في قوانينها ووحداتها والتي تشكل نوعًا من التجانس بين بنيته وصيغته والتي توصلنا في نهاية المطاف إلى المعرفة الحقيقية بمقصد العمل الأدبي وأحيانًا حتى تمكننا من معرفة ذلك التيار الفكري والاجتماعي للعمل الأدبي الذي كان له تأثير على هذا الأخير. [4]

ويعتمد الباحث في اجتماعية الأدب على مراحل التحليل البنائي التالية:

_ المرحلة الأولى: وهي الفهم أي أنّ فهم العمل الأدبي يجب أنّ يكون موضوعيًا يستند إلى تلك العملية العقلية الخالية من تأثير العواطف والمشاعر، بالرغم من أنّ هذا الأمر صعب نوعًا ما إلا أنّه يجب مقاومة هذه النزعة العاطفية للشخصية في تحليلنا العلمي.

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 231 ، ص 234، ص 235، ص 236.

[2] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 236.

[3] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 236.

[4] _ ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط2، 1980،ص 239.

_ المرحلة الثانية: وهي الشرح وهو مرتبط بالعوامل الخارجية عن العمل الأدبي من حياة شخصية للمؤلف وطريقة رؤيته للعالم التي تتدخل فيها جهة اجتماعية معينة، في حين تعد تلك الشروح النفسية شروح جزئية تستند إلى الصدفة كما قال " غولدمان" في حين أنّ الشروح التي تستند على الأسس الاجتماعية تتخطى المقارنة الأولية للمضمونات بالعثور على تلك البنية المتماسكة ضمن قوانين خاصة داخل العمل الأدبي وما يعبر عنه من رؤية للعالم، ومهمة الناقد لا تنحصر في الكشف عن تلك الرؤية فحسب بل وجب عليه أنّ يبحث ويعرف لماذا جاءت هذه الرؤية بتلك الطريقة دون سواها من طرائق التعبير.

يرتكز الباحث في اجتماعية الأدب على أسلوبين دائمين وهما التردد والتذبذب، ويستعمل التذبذب بغية التأكد من صحة ما توصل إليه الباحث في بحثه للوحدات الجزئية والرجوع إلى الوحدات الكلية لمعرفة صحته من عدمها ثم العودة مجددًا إلى تلك الأجزاء، حتى يصل في الأخير إلى التأكد اليقيني بأنّ نتائجه صحيحة وقابلة للنشر.[1]

هناك الكثير من عارضوا استعمال التفسيرات النفسية للأدب منها:

_ أولا: أنّ تلك المعلومات التي نتوصل إليها والخاصة بالكاتب سواء عن حياته النفسية وبيئته التي عاش فيها ما هي إلا شيء قليل جدًا لا يمكن لنا أنّ نتخذه كمعيار للحكم على العمل الأدبي، وإنّما في الحقيقة ذلك التحليل النفسي يتأتى لنا من خلال الأثر الإبداعي الأدبي في حد ذاته.

_ ثانيا: التحليلات النفسية للأدب نتائجها عمومًا لا تتجاوز نسبة الخمسين بالمئة من خلال شرحها لتلك الأعمال الأدبية سواء في جزئياتها أو كلياتها، لذلك لا يجب علينا الاعتماد على هذه

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 240 ، ص 241.

الشروحات النفسية للأعمال الأدبية لأنّها توقعنا في الخطأ، وتلفق للكاتب أحيانا أشياء غير موجودة فيه.

ـ ثالثا: ويعد من بين أهم الاعتراضات، فالشروح النفسية صحيح أنّها تكشف عن بعض أجزاء العمل الأدبي إلا أنّها لا تستطيع الفصل والتمييز بين العمل الأدبي وغيره من الكتابات ورسوم المجانين، ومعرفة تلك القيمة الأدبية والجمالية للعمل الأدبي في صلبه فقط.

في حين أنّ المنهج الاجتماعي من خلال بحثه في الأعمال الأدبية فهو قادر على الكشف على مجموعة من الرؤى المتعددة للعالم في عصر محدد، ويفسح المجال بعدها إلى العديد من الأبحاث الجمالية الاجتماعية التي تدرس العلاقة بين رؤية العالم من ناحية، والتجارب الفردية للأشخاص في العمل الأدبي من ناحية أخرى ومهمة النقد هنا هي الكشف عن العلاقة بين هذه التجارب الشخصية والآليات التي اعتمدها الكاتب المبدع وسبب اختياره بالضبط لهذه الآليات. [1]

وفي اختلاف " غولدمان" مع البنائية اللغوية الشكلية شارحًا في هذا وجود الاختلاف بينهما أي مع البنائية التوليدية الاجتماعية ليقدم في هذا نوعًا من الاعتراض في أنّه إذا كان هناك فعلاً طبقًا لمقولة " دي سوسير" وجود اختلاف يجمع بين اللغة والكلام باعتبار أنّ اللغة هي مجمل الأنظمة التعبيرية التجريدية التي تحكمها قوانين والتي هي بالأحرى حوصلة تاريخية وجزءا قائمًا بذاته لا يستند على أية أمور، حيث أنّ الكلام هو عبارة عن استعمال مجموعة من الأفراد للغة معينة في واقعهم وعلى هذا الإثر يصعب استخدام الخطوات أو المراحل المنهجية الخاصة باللغة على الكلام، وكذلك صعوبة وجود إثبات الخواص الدلالية أيضا، مما يثبت بالفعل بأن الكلام أكثر

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 242، ص 243.

من نطاق اللغة، ومن هنا فإن الدراسة البنائية اللغوية غير قادرة على الظهور في العمل الأدبي وغير قادرة أيضا على تفسير وتوضيح الوسائل الفنية التي استخدمت في أبنية الأديب، ليقدم غولدمان أيضا دراستين عميقتين وتدور الأولى حول الرؤية المأساوية عند شخصية كل من " باسكال" حول تأملاته وشخصية راسين في تأملاته، فالدراسة الثانية فقد تضمنت تفسيرًا وشرحًا دقيقًا وأصيلاً يخص مراحل تطور القصة الحديثة في فرنسا مع تطابقها للبنية الاقتصادية الفردية مع نوع من الاهتمام الخاص بأعمال شخصية " اندريه مالرو" كمثال أو أنموذج ليطلق عليها اسم « نحو اجتماعية القصة » التي احتوت مجموعة من المراحل المهمة والنتائج. [1]

ويضع " جولدمان" بعض العناصر المعتمدة في الجمع بين البنية الاقتصادية (اقتصادية السوق)، وأبنية الإنتاج الأدبي منها (القصة) وهي كالتالي:

ـ **أولا:** اعتماد عقلية أو أساس عام تقوم بتقدير الإنتاج البشري مقابل قيمته المادية وقد يشهد نوعًا من التعبير الأدبي الذي يكون من خلال أبطال القصة والعلاقة الجدلية القائمة في البنية الاجتماعية بين جملة من القيم الأصلية الحقيقية التي يكون نظيرها موجودا في البنية الأدبية القصصية، وبالعودة إلى مجموعة التحولات الاقتصادية التي حدثت في العقد الأول من القرن هذا فإنّ نوع القصة التي تحمل شخصية البطل المتأزم تذهب قيمتها لتحول الاقتصاد هو الآخر هنا.

ـ **أما ثانيا:** يضع "جولدمان" تمييزا في القصة الغربية الحديثة لثلاث مراحل تجمع كل من المضمون الاجتماعي والاقتصادي والتركيب الفني لها والذي يصدر عنه كل من:

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 243 ، ص 244، ص 245.

_ قصة البطل المتأزم أو ظهور المشكل الذي يعطي صورة واضحة على الاقتصاد الحر والتي تميز وتعظم من شخصية الفرد.

_ نوع من القصص التي هي بصدد محاولة عدم تعزيز القيم الفردية وإلغائها، ليأتي في مكانها أيديولوجيات أخرى لا تهتم بتاريخ الأفراد وحياتهم لتتشغل بتاريخ الجماعة.

_ ثالثا: وهي المرحلة التي بدأت من " كافكا" حتى الآن في حين أنّها غير قابلة لإحلال أي نوع من السير الجماعية مكان السير الفردية، فالقصة القصيرة تشغل حركة معاكسة لتصور النقاد الذين يعتبرونها عبارة عن تجارب شكلية فقط لا تحمل أي دلالة، أو محاولة الخروج من الواقع البشري فهذا الواقع بالتحديد متغير بحركة المجتمع وليس ثابتا، فموقف " جولدمان" يختلف تمام الاختلاف عن موقف أو وجهة نظر " لوكاتش" فهو يعتمد على التطور والتغير التي تشهده حركة المجتمع ليركز هنا بالبحث عن الأبنية الدالة لها وربطها بالأبنية الاجتماعية لأنّ مشكلة جولدمان الفعلية هي الكشف عن التمازج والتماسك في محتوى النص وإيجاد بنيته الدالة ثم ليحدد نوع الشخصية البارزة التي تكون هي الأخرى شخصية جماعية. [1]

وإذا كان تركيز المدرسة الفرنسية حول اجتماعية الأدب يصب في موضوع القصة وأما المدرسة الإيطالية التي أعطت اهتمامها الكبير للشعر والصورة الأدبية على وجه العموم لنوضح هذا من خلال تناول دراسة كل من " جالفا نودي لافولبي" الذي أقام دراسته في كتابه تحت عنوان "الهام1" " نقد الذوق " الطبيعة العقلية والاجتماعية للصور الأدبية في اعتبار أنّ الصور الشعرية ما هي إلا تصورات عقلية وأنّ كل من له القدرة على وضع تمييز بين نوعين من المعرفة الأولى

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 246 ، ص 247، ص 248.

وهي المعرفة الفنية التي يستطاع الوصول إليها عن طريق الصور والحدس المسبق والمعرفة الثانية وهي ذلك النوع من المعرفة التي باستطاعة الفرد الوصول إليها وكشفها عن طريق جملة التصورات الذهنية فالشاعر لا يمكن أنّ يترك كل من الواقع أو التاريخ لأنّ كل دلالة فكرية تظهر من خلال تصور ذهني أو فكري للمبدع بالاعتماد على المعرفة أو التجربة الشخصية لأنه يرتبط أشد الارتباط بمجتمعه وتجاربه الخاصة يستقيها من عالمه الاجتماعي، كذلك الطابع التاريخي للإبداع الفني والروابط الثقافية الخاصة به يندرجان ضمن مكون المادة الشعرية الخاصة به ذات الطابع المميز، فلذلك يكون المحور العقلي المحدد له ضمن بنية ثم يصير عنصرًا واضحًا أو فرعًا أساسيًا من اللذة الجمالية، وهذا في العمل الأدبي والذي هو الآخر والذي لا بد من القيام بدراسة معظم التصورات الأخلاقية التي تعطي ميزة له ومجموع القيم المتمثلة فيه ولكونه مصغرًا في " الكوميديا الإلهية لدانتي" والتي يرتكز الفهم فيها في تحقيق المعرفة والفهم للمستوى الاجتماعي والثقافي الكامن في اللغة المباشرة أو في الرموز التي يحملها.

وبالنسبة " لأمبرتو إيكو" المفكر الإيطالي الذي اهتم بالمنهج السيميولوجي وتأصيله في موضوع " اجتماعية الأدب" و " السيميولوجية " أو ما يطلق عليه بالعلم الخاص بالرموز والإشارات والذي ظهر على يدّ دي سوسير" الذي يهتم بتناول دراسات لمختلف الرموز الإنسانية وما تشهده من تطورات وتغيرات وكذلك النظم مع ظهور التكنولوجيات الحديثة من وسائل اتصال مختلفة وتلفزيون، حيث يرى ايكو أنّ اجتماعية الأدب تأخذ اتجاهات متنوعة فمن الممكن أنّ يكون هناك تصور في أنّ العمل الأدبي الإبداعي مجرد عنصر أو وثيقة عادية مرتبطة بفترة زمنية محددة أو يكون ذا ميزة تجعله عنصرا يتضمن شرحًا وتفسيرًا لمختلف الحلول الجمالية الممكنة لهذا العمل، فالعنصر الاجتماعي أو الجانب الاجتماعي للعمل الأدبي هو الذي باستطاعته وضع اختيارات

جمالية محددة في الوقت نفسه الذي تكون فيه دراسة وفهم العمل الأدبي مع مميزاته وخصائصه البنائية التي يحملها في ثناياه من مؤشرات وعوامل تقدم فهما للمجتمع.

ورؤية " ايكو" التي يعرضها في أنّ الوصف السيميولوجي لبنية العمل الأدبي تعد من أحسن المناهج والتي يمكن من خلالها إدراجه في إطاره التاريخي والاجتماعي على حدا ويساعد في التنقل من السياق الاجتماعي الخارجي إلى السياق التركيبي الداخلي للعمل الذي هو بصدد التحليل ثم الانتقال إلى إنجاز وصف شامل ودقيق بالاعتماد على أساسيات ومعايير. [1]

وتكون فكرة الانعكاس التي يشهدها السياق الاجتماعي في السياق الأدبي وذلك باستخدام المرآة الكلاسيكي في الواقعية، يمكن أنّ تتشكل بشكل بنائي واضح من خلال استخدام مجموعة أنظمة من الرموز والإشارات التي تحمل التوافق والانسجام في مجملها.[2]

ومن خلال إقامة قراءة سطحية أو مبدئية للعمل الأدبي يمكن التمييز أو اكتشاف وصفاء المجموعات الرمزية التالية:

_ (أ): " أيديولوجية " المؤلف.

_ (ب): ظروف السوق التي أدت إلى ظهور الكتاب أو إنتاجه أو شيوعه وتداوله.

_ (ج): أبنية الفنية: مثل بناء الحدث والشخصيات والأشكال الجمالية والتناول اللغوي والحلول الخاصة بالأسلوب وتركيب الجمل أو الفقرات فيه.

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 248 ، ص 249، ص 250، ص 251، ص 252.

[2] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 252.

_ (د): كل هذا يهدف توضيح العلاقة بين العمل الأدبي _ بأبنيته المختلفة من أحداث وصور وأسلوب _ و " أيديولوجية" المؤلف أو رؤية للحياة وظروف السوق الذي أنتج فيه العمل أو كان موجها إليه.[1]

وفي الأخير يريد أنّ يوضح فكرة أنّ كل تجربة ومحاولة حقيقية في تحصيل مناهج البحث في اجتماعية الأدب، والتي تعتبر ميثاق الواقعية في مجال النقد ليبقى هنا محل الخوف مفتوحا لدى النقاد والباحثين، في أنّ يكون العمل الأدبي أو الأدب بصفة عامة منحصرا تماما في جانبه الاجتماعي وهناك من يعتبر هذا جزءا مهما، وليس محل خوف في حين أنّه قد يحصل نتائج عظيمة في مجال الذوق الأدبي أو تفسير نوع من الأعمال ذات الميزة العادية ولكن يختلف الأمر بالنسبة للأعمال الغير عادية، التي ينبني اعتقاد أغلب نقادها على أنّها لا تعتمد أساسا ولا تنطلق حتى من أي مفهوم اجتماعي أي أنها قائمة فقط على مبدأ التفسير الداخلي الذي ينادي بضرورة الفرد على عكس الجماعة.

ولكن تبقى صورة الأدب صورة اجتماعية فالأدب يعكس المجتمع ويصوره من خلال دراساته وخاصة في تطوره التاريخي فهو يركز على العامل الزمني والعامل المكاني في الدراسة الاجتماعية التي يحاول من خلالها البحث الدقيق في العالم الداخلي للوسط في حين أنّ المناهج الأخرى التي تتجاوز حدود الدراسة الاجتماعية، لا تقف جانب الأعمال العظيمة باعتبار أنها تلك الحلقة التي

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص 252، ص 253.

تتطور فيها زاوية النظر الجماعية للحياة وبقاء هاته الأعمال بالذات الدليل الكافي لقبولها من طرف المجتمع. [1]

ويرى الناقد " شكري محمد عياد" من خلال كتابه المذاهب الأدبية والنقدية أنّ الواقعية « في العالم العربي الذي راجت فيه أفكار الوجودية مواكبة للأفكار الماركسية فقد أفرز مزيجه الخاص بين الإثنين، ولكن هذا المزيج ظهر في الإبداع الشعري بوجه خاص في حين بقيت لغة النقد أميل إلى البساطة النظرية، ودخلت في معارك جانبية غير مثمرة مع دعوة النقد الجديد التي حاولت أنّ توجه الاهتمام إلى قيمة الشكل في الأعمال الأدبية، ومع أنّ الفريقين ظلوا يتحدثون عن وحدة الشكل والمضمون، وارتباط الأدب بالحياة، فإنّ هاتين القضيتين _ ربما لشدة عمومهما _ لم تضيفا شيئا ذا قيمة إلى حركة النقد أو إلى حركة الإبداع ... فمن واجب الأديب الواقعي أنّ يكون ذا نظرة متكاملة إلى العالم الذي يحيا في داخله، نظرة تعبر عن فهم مترابط لهذا الكون وأطواره، وبشكل خاص ينبغي أن يتضح هذا جليًا في فهمه لمجتمعه الخاص وتجاوبه معه، فالأديب في مصر مثلا لا يكفي أنّ يقتصر فهمه على القرية مثلا، إذا كان قد نشأ في القرية، أو على الحياة في القاهرة إذا كان أديبًا قاهريًا، وإنما الواجب أنّ يكون ذا فهم ملم متكامل للمجتمع المصري كوحدة، وعلى بينة من القوى المختلفة التي تتصارع في أحشائه ».[2]

ومعنى قول "شكري محمد عياد" أنّ مذهب الواقعية الذي يهتم ويستند بالدرجة الأولى إلى الواقع هو مذهب يمثل إنتاجًا أدبيًا معبرًا وواصفًا للواقع الاجتماعي بالدرجة الأولى من خيره وشره،

---

[1] ينظر: صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 253.

[2] شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مطابع السياسة، 1993، ص 25، ص 26، ص 27.

فالأدب الواقعي هو الذي يقتبس مواضيعه من أحوال الناس وأوضاعهم الاجتماعية وطرحها كإشكاليات بغية العثور على حُلول لها، ولقد شاع استخدام مذهب الواقعية في المجتمع العربي نظرًا لنجاعته في حل معظم المشاكل الخاصة بهذا المجتمع ومن الأمثلة على تلك المجتمعات، المجتمع المصري الذي اعتمد جل أدبائه على هذا المذهب، وبالتالي فالأديب هنا مطالب بالمعرفة الشاملة الكاملة لأحوال مجتمعه بصفة عامة وأنّ لا يكتفي بمعرفة جزء من المجتمع فقط وذلك بغية التصوير الدقيق للمجتمع من خلال أعماله الفنية الإبداعية الأدبية.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي ختام بحثنا توصلنا إلى استنتاج العديد من النقاط والنتائج الخاصة بالمنهج الاجتماعي وهي كالتالي:

1_ المنهج الاجتماعي هو منهج من المناهج التي تعنى بسياق النص، ومدى تأثير المجتمع في إنتاج الأعمال الأدبية.

2_ المنهج الاجتماعي يعتبر الأدب انعكاسا لذلك الضمير الجمعي، فهو يركز بالدرجة الأولى على المجتمع ودوره في عملية الإبداع الأدبي.

3_ يقوم المنهج الاجتماعي بربط الأدب بالمجتمع ذلك أنّ العلاقة بينهما علاقة وطيدة لا محال منها، ينفي فصل كل منهما عن الآخر.

4_ التطورات التي شهدها المنهج الاجتماعي وذلك بفضل العديد من الفلسفات، كالفلسفة الوضعية، الوجودية، وأيضا الجديد الذي جاء به الماركسيون لهذا المنهج.

5_ ارتباط تطور النقد بتطور الأدب، ذلك أنّ كل منهما يستفيد من الأخر في كل جديد يطرأ عليه.

6_ تقديم صلاح فضل للمنهج الاجتماعي على أنه منهج مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، معنى هذا الأدب هو مرآة المجتمع، فهو يستقي جل إبداعاته الأدبية منها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أنّ نشيد بالإفادة والإضافة التي جاء بها صلاح فضل من خلال المناهج النقدية وبصفة خاصة المنهج الاجتماعي الذي يعد فيه المجتمع بمختلف ظواهره محرك الإبداع في الظاهرة الأدبية والإبداعية.

قائمة المصادر والمراجع

_ قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم.

أ _ المصادر

1. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

2. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1980.

3. الخليل إبن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال، الجزء 3، (مادة نهج).

4. إبن منظور: لسان العرب، دار إحصاء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، ج 14 (مادة نهج)، 1999.

ب _المراجع

5. أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي (... منهج، سوسيولوجي، في القراءة والنقد)، دار النهضة العربية.

6. إنريك أندرسون إمبرت: مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ط2، 1992.

7. السيد ياسين: التحليل الاجتماعي للأدب، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ط3، 1991.

8. داوود غطاشة: قضايا النقد العربي، قديمها وحديثها، عمان، الأردن الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ط1، 2000.

9. رضوان ظاظا: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

10. رضوان ظاظا، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مراجعة، المنصف الشنوفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.

قائمة المصادر والمراجع:

11. رنيه ويليك وآوستن وآرن: نظرية الأدب، تعريب: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1992.

12. روبير إسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب، تر: آمال أنطوان عرموني، بيروت، منشورات عويدات، ط3، 1999.

13. سامي يوسف بوزيد: تذوق النص الأدبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ/2012.

14. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

15. سلامة موسى: في الحياة والأدب، مؤسسة الهنداوي، 1930.

16. سمير سعيد حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004.

17. شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مطابع السياسة، 1993.

18. صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط1، 1426هـ/ 2006.

19. عبد الرحمان أبو عوف: فصول في النقد والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

20. عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.

21. عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1990.

22. عثمان موافي: مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008.

قائمة المصادر والمراجع:

23. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد (الأدب _ النقد _ الشعر _ القصة _ المسرحية _ المقال _ ترجمة الحياة، الخاطرة)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط9، 2013.
24. فائق مصطفى وعبد الرضا علي: في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، شارع ابن الأثير، الجمهورية العراقية.
25. قصي الحسين: سوسيولوجية الأدب: دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، 1993.
26. لوسيان غولدمان وآخرون: مقدمات في سوسيولوجية الرواية، تر: بدر الدين عرووكي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993.
27. محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
28. ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، القاهرة، مصر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1987.
29. ميشيل زيرافا: الأسطورة والرواية، تر: صبحي الحديدي، الدار البيضاء، المقالات، ط1، 1986.
30. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
31. وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007.
32. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من " اللانسونية" إلى " الألسنية" رابطة إبداع الثقافية.

قائمة المصادر والمراجع:

ت_ المجلات:

33. شاكر عبد القادر: مناهج البحث اللغوي الحديث والمعاصر، مجلة الخلدونية في العلوم الإنسانية، 2005.

34. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، (مادة نهج).

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
الشكر والتقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ_ج
المدخل: منطلقات وخصائص المنهج الاجتماعي	06
مفهوم المنهج	10
لغة	10
اصطلاحا	12
2_ مفهوم المنهج الاجتماعي	13
أ_ منطلقاته	14
ب_ خصائصه (ملامحه)	17
الفصل الأول: مفهوم المنهج الاجتماعي _ ضبط المفاهيم_	21
1_ مفهوم المنهج الاجتماعي عند الغرب	22
2_ مفهوم المنهج الاجتماعي عند العرب	30
الفصل الثاني: ملامح المنهج الاجتماعي عند صلاح فضل من خلال النماذج المختارة	36

فهرس الموضوعات:

1_ النموذج الأول: كتاب مناهج النقد المعاصر	37
2_ النموذج الثاني: كتاب منهج الواقعية في الإبداع الأدبي	48
الخاتمة	70
قائمة المصادر والمراجع	72
فهرس الموضوعات	77